اللغة العربية في القانون الدولي والعلاقات الدولية والمنظمات الدولية والإقليمية

د : أحمد مصطفى أبو الخير
جامعة دمياط – كلية الآداب – قسم اللغة العربية وآدابها

اللغة العربية في القانون الدولي والعلاقات الدولية والمنظمات الدولية والإقليمية

يحلو لنا أن نبدأ حديثاً هنا بمقولة أحد أساتذتنا [1] في كلية دار العلوم التي تخرجت فيها من سنوات طويلات، لكن هذى الكلمات لما تزل ترن في أذني وسمعي، نصها كما تعي الذاكرة: (إن شيوع الفكرة ليس دليلا على صحتها، بل على العكس، كلما كانت الفكرة شائعة كانت خاطئة، أو إلي الخطأ أقرب، فإن أكثر الأفكار شيوعا أكثرها خطأ).

وأكثر ما تصدق هاتيك المقولة على تصورنا للغتنا ومكانتها ومكانها بين لغات العالم، بل يصل التيه عند بعض بنى جلدتنا إلي أن يروا أن المقصود بالعربية هو الفصحى فقط،دون العامية التي تراها تنعت أحيانا بأنها لغة منفصمة عن فصحاها، وليست لهجة متفرعة عن لغتنا... إلى آخره من مثل هذى التصورات الخاطئة وأشباهها.

ومن ثم فإن الحديث عن العربية في بحوثنا التي نسطرها بدا بحاجة ماسة إلى افتتاحية بشيء ولو في عجالة عن مكانة لغتنا من خلال استعراض خريطة لغات العالم ذي الستة مليارات من الأنفس:

1. **عدد اللغات في هذا العالم حسب بعض التقديرات ستة آلاف وثمانمائة لغة، معظمها لغات أقلية، آي ذات عدد قليل من المتكلمين، نصف العدد السابق لغات يتكلم بها عشرة آلاف فأقل، ربعه لغات يتكلم بها أقل من آلف شخص.**
2. **مائه لغة تقريبا هي التي تحظى بمليون متكلم فأكثر، أما اللغات التي تمتلك خمسين مليون فأكثر فهي بضع عشرة لغة، ولا تزيد عن عشرين.**
3. **ومن ناحية أخرى نجد ثماني لغات فقط تستأثر بنصف سكان العالم، وهى على التوالي: (الصينية – الهندية – الأسبانية – العربية – الروسية – البرتغالية – الفرنسية).**

---

[1]- المرحوم الدكتور محمود قاسم العميد الأسبق للكلية .

٤- وعلية فإن العربية تأتي في المرتبة الخامسة من حيث عدد المتكلمين بها داخل الوطن العربي، وهم الآن ثلاثمائة مليون، يتوقع أن يزيدوا إلى نصف مليار عام ٢٠٢٠م.
٥- وإذا كانت قوة اللغة تكمن في عدد متكلميها داخل الوطن وانتشارها خارج الوطن فان العربية إحدى اللغات الثلاث الأكثر انتشارا خارج وطنها، أما اللغتان الأخريان فهما الإنجليزية والفرنسية، كما سيأتي.

جدير بالذكر أن خارطة اللغات في العالم دائمة التغير، وبعبارة أخرى سوف[٢] تتغير هذه الخارطة في القرون القليلة القادمة، إن لغات كثيرة - يستخدمها عدد قليل من الناس- تحتضر، ولغات جديدة تظهر، أو سوف تظهر، وهذا يعنى أن اللغات ووظائفها ستتطور، إن هذى اللغات التي تحتل أعلى درجة من المركزية قد تتغير مكانتها، فقد تصبح بعض اللغات الهامشية مركزية، أو العكس، إن تاريخ اللغات – مثل تاريخ أي شيء – لا يقف ساكنا، إن يتحرك، ويتغير دائما، ويتشكل بممارسات المستخدمين([٣]).

أما دي سوسير (ت١٩١٣) فيقول[٤]: (الزمن يغير كل شيء، وليس هناك سبب لآن تنجو اللغة من هذا القانون العالمي) ومن هذى الأشياء التي يغيرها الزمن مكان اللغة أو مكانتها، من الوجود إلى الانقراض أو من المركزية إلى الهامشية، أو من الهامشية إلى المركزية.

وربما لا يحتاج الأمر إلى قرون من الأزمان والسنين، بل إلى عقود وأعوام فهذا صاحب كتاب: (صدام الحضارات)[٥]ينص على: (أن البيانات المتوفرة والتي تغطى أكثر من ثلاثة عقود -١٩٥٨ إلى ١٩٩٢- توحي أن انخفاضا حدث في نسبة الناطقين بالإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية واليابانية، وان انخفاضا اقل حدث في نسبة المتكلمين بالماندارين –

٢- كالفيه ، جان لوي : المستخدمون هم أصحاب الاختيار ، رسالة اليونسكو ، القاهرة أبريل ٢٠٠٠، ص.٣٦
٣- المهم هو المستخدم ، لأن الأرض قد تنتزع رغماً عنا ، أما اللغة والهوية فلا أحد ولا قوة مهما كانت سطوتها تستطيع أن تنزع عنك لغتك أو هويتك ، لكن الناس هي التي يمكن أن تفرط فيها رغباً واختياراً ، لا رهباً واضطرارا.
٤- السابق .
٥- هنتنجتون : صدام الحضارات ، ترجمة طلعت الشايب ، القاهرة ١٩٩٩، ص .٩٩

الصينية – وأن زيادات حدثت في نسبة المتكلمين بالهندية والملايو والعربية والبنغالية والأسبانية والبرتغالية وغيرها من اللغات).

ويركز صمويل هنتنجتون على اللغات الخمس الأوربية (الإنجليزية والفرنسية والألمانية والبرتغالية والأسبانية) فيرى أن: (نسبة سكان العالم الذين يتكلمون هذي اللغات الخمس انخفضت من ٢٤.١% في ١٩٥٨ إلى ٢٠.٨% في ١٩٩٢)[٦] والحق أن الانخفاض قد سرى على اللغات الأوربية والروسية واليابانية بسبب الانخفاض في عدد السكان إضافة إلى انهيار الاتحاد السوفيتي ١٩٩١، كما سيأتي إليه الإشارة.

أما أن زيادات قد حدثت في نسبة المتكلمين بالأسبانية والبرتغالية وان بنسبة طفيفة فيرجع - في رأينا- إلى انتشار هاتين اللغتين الأوروبيتين في أمريكا اللاتينية ، البرتغالية في البرازيل التي تعد الآن خامس دولة من حيث عدد السكان، بعد الصين والهند والولايات المتحدة واندونيسيا، ويقدر عدد سكان البرازيل الآن بحوالي ١٨٠ مليون نسمة، بعد أن كانوا في ١٩٩٧ في حدود ١٦٠ مليونا.

أما عدا البرازيل من أقطار أمريكا اللاتينية والتي تنتشر فيها الأسبانية فإن سكانها في ١٩٩٧ قدروا بحوالى ٢٦٧ مليونا، ينتظر أن يزيدوا عام ٢٠١٠ إلى ٣٨٩ مليونا[٧]، وهى زيادة كبيرة، كما نرى.

على أية حال نعود مرة أخرى إلى الإنجليزية لنجد هنتنجتون[٨] يقول: (نسبة المتكلمين بالإنجليزية في العالم انخفضت من ٩.٨% بين الناس الذي كانوا يتكلمون في سنة ١٩٥٨ بلغات يتحدث بها على الأقل مليون شخص إلى ٧.٦% في سنة ١٩٩٢).

---

[٦]- السابق .

[٧]- العيسوي ، د. فايز : أسس الجغرافيا البشرية ، الإسكندرية ٢٠٠٢،ص .٤١٩

[٨]- مرجع سابق ، ص .٩٩

وكل ما ذكر هنا يؤيد ما قيل قبلا من أن خارطة اللغات في العالم هي في تغير دائم سوف ينتهي هذا التغير حسب توقعات المتخصصين إلى توارى هذا العدد الهائل من اللغات ليبقى للعالم حوالة المائة من لغاته، هذى المائة تتقلص إلى بضع عشرة لغة فقط.

وإذا كنا قد أشرنا إلى سبب مهم من أسباب دعم اللغات في العالم، وهو الزيادة السكانية، فان سببا أخر ربما يكون أكثر أهمية هنا، وهو دعم الإمبراطوريات المختلفة للغات، ومرة أخرى –ولعلها الأخيرة- مع هنتنجتون الذي يشير إلى هاتيك الحقيقة:

(توزع اللغات في العالم عبر التاريخ كان يعكس توزيع القوة العالمية، فاللغات الأوسع انتشارا – الإنجليزية، الصينية، الأسبانية، الفرنسية، العربية، الروسية – إما إنها لغات دول إمبراطورية أو كانت ، مما جعل شعوبا أخرى تستخدم لغتها، التحولات في توزع القوة تؤدى إلى تحولات في استخدام اللغات[9]).

والشاهد على ما سبق عدة ظواهر، [10] منها:

1. **في الاتحاد السوفيتي السابق كانت الروسية اللغة المشتركة، من براغ في الغرب حتى ها نوى في أقصى الشرق، ولكن انهيار الإمبراطورية الروسية صحبه انهيار مواز في استخدام اللغة الروسية.**
2. **القوة الاقتصادية اليابانية حفزت غير اليابانيين على تعلم اليابانية والنمو الاقتصادي للصين يحدث ازدهارا مماثلا بالنسبة للغة الصينية، التي تحل محل الإنجليزية بسرعة كلفة سائدة في (هونج كونج) وبسبب دور الصينيين المقيمين في جنوب شرق أسيا، أصبحت الصينية لغة الصفقات العالمية فى تلك المنطقة.**

٩- السابق ص، ١٠٣.
١٠- السابق .

وفى المستقبل تبدو في الأفق توقعات مهمة[11] منها:

١- مع تدهور قوة الغرب تدريجيا بالنسبة للحضارات الأخرى، فان استخدام الإنجليزية وغيرها من اللغات الغربية سوف يقل تدريجيا داخل المجتمعات غير الغربية، فإذا حلت الصين محل الغرب كحضارة سائدة في العالم فإن الإنجليزية سوف تخلى مكانها للصينية كلغة عالمية مشتركة.

٢- بقدر ما تقيم المجتمعات غير الغربية المؤسسات الديموقراطية، وعلى قدر مشاركة الناس في حكومات تلك المجتمعات تنهار اللغات الغربية، وتسود اللغات المحلية لتلك المجتمعات.

٣- إذا كانت الانجليزبة يتزايد استخدامها على مستوى الجامعات لهثا وراء سوق العمل والحصول على الوظائف والمناصب فإن الضغوط الاجتماعية والسياسية تؤدى – وبشكل متزايد- إلى استخدام اللغات المحلية على نطاق واسع، فالعربية تحل محل الفرنسية في شمال افريقية، الأوردو تستأصل الإنجليزية كلغة للحكومة والتعليم في باكستان، وتحل محلها لغة إعلام محلية، تحل محل إعلام إنجليزي في الهند).

والآن من المستقبل وتوقعاته، والحاضر بحقائقه إلى الماضي الذي يُصَدِّقْ على مقولة : إن اللغة تنتشر خاصة خارج أوطانها بدعم سياسي من دولة قوية ذات شوكة وهذا مثال لبعض اللغات من الشرق والغرب، فمن الأول :

١- اللغة الأكادية: وتعرف أيضا باسم البابلية الآشورية أيضا، لأنها سادت خلال حضارة بابل وأشور، وقد عمرت هذه اللغة نحو ألفين من السنين، واصطنعتها في هذه الحقبة الطويلة شعوب عدة، فكانت بين الحيثيين والآشوريين بمثابة اللغة الدبلوماسية، فالرسائل المتبادلة بين هذه الشعوب كانت تكتب بهذه اللغة العربية وكان الخطاب في

---

[11]- السابق ص١٠٥،١٠٤.

المجالات الرسمية بهذه اللغة أيضا، بل إن نفوذ بابل وآشور قد امتد من وادي دجلة والفرات إلى كل شعوب أسيا الصغرى([١٢]).

٢- اللغة الآرامية: استطاع الآراميون أن يؤسسوا لأنفسهم دولة شمال سوريا، كما كانت لهم دولة أخرى في العراق، احتفظوا بها زمنا أطول، ومن ثم أصبحت اللغة الآرامية لغة السياسة والتجارة في كل أنحاء غرب أسيا الصغرى، وفى مصر ومنذ القرن السادس إلى القرن الرابع قبل الميلاد بلغت الآرامية ذروة مجدها كلغة عالمية، فكانت مأنوسة بين شعوب العالم القديم يصطنعونها في خطابهم، وفى معاملاتهم ومكاتباتهم الرسمية الدبلوماسية([١٣]).

ومن الأكادية والآرامية التين كانتا لغة الديبلوماسية في الشرق القديم إلى نظائرها في الغرب:

١- اللغة الإغريقية: في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد كانت الثقافة الإغريقية قد بلغت الذروة على يد طائفة من العلماء والفنانين والفلاسفة الذين عاشوا فى أثينا، وجعلوا لها مركزا مرموقا في تاريخ الحضارة الإنسانية.

ثم كان الغزو التاريخي المشهور على يد الإسكندر الأكبر الذي استطاع أن يؤسس إمبراطورية عظيمة شملت مصر وسوريا والعراق، وبلغت حدود الهند، أي انه استولى على العالم المتمدين القديم خلال بضع عشرة سنة فقط.

وهكذا اجتمع للغة اليونانية مجدان، مجد ثقافي حضاري، وآخر سياسي، مما دفع هذه اللغة إلى مصاف العالمية، لقد انتظمت شعوبا كثيرة، ووحدت بينها مع اختلاف هذى الشعوب في الجنس والعقيدة، فسادت العالم القديم، واصطنعها الناس في خطابهم ومعاملاتهم، وتبادل المصالح فيما بينهم.

١٢- أنيس ، اللغة بين القومية والعالمية ، القاهرة ١٩٧٠، ص ٢٥٦.
١٣- السابق ، ٢٦٠، ٢٦٣،٢٦١.

ولم يتقلص نفوذ هذى اللغة إلا في القرن السابع الميلادي، فخلفت لنا الإغريقية الحديثة التي يقتصر أمرها الآن على بلاد اليونان (١٠.٦ مليون نسمة تقريبا[١٤]، في مساحة ١٣٢ ألف كم٢).

٢- اللغة الرومانية: لم تكد تظهر المسيحية في الشرق حتى تأسست دولة كبيرة ذات تقاليد حربية مشهورة في التاريخ القديم، تلك هي الدولة الرومانية التي اتسعت رقعتها شرقا إلى الشام واسيا الصغرى، ومصر، وأسبانيا، وانجلترا.

وكانت لغة هذه الدولة الكبرى هي اللاتينية، والتي كانت في الأصل إحدى اللهجات الإيطالية التي سادت غيرها من اللهجات، بل سادت كل مناطق هذه الدولة الرومانية، لقد ترتب على اتساع رقعة الدولة الرومانية شرقا وغربا أن انتشرت لغتها في الشرق والغرب.

وقد رأى شرلمان – في القرن الثامن الميلادي- أن خير رباط يمكن أن يوحد بين الشعوب التي خضعت له هو اللغة، فعمل جاهدا على نشر اللغة اللاتينية، وجعلها لغة الكنيسة فسادت الروح الرومانية والطابع الروماني بين شعوب أوربة مرة ثانية، ولكن كل هذا لم يمنع اللاتينية من الانقسام إلى لهجات محلية متباينة، تحولت إلى لغات مستقلات فكانت الفرنسية والإيطالية – الحديثة- والأسبانية والبرتغالية....الخ.

وبرغم هذا ظلت اللاتينية الكنسية لدى طائفة من المفكرين في كتاباتهم الأدبية والفلسفية والدينية حتى القرن السادس عشر، وقد اتضح هذا من المكاتبات الدينية والدبلوماسية والقانونية، بل والتجارية، ثم أصبح للمفكرين والكتاب لغتان إحدهما محلية والأخرى لاتينية، وعندما أطل القرن السابع عشر انصرف الأوربيون عن الكتابة بهذه اللاتينية، وتعد معاهدة (راستات)١٧١٤ أولى المعاهدات الأوربية التي كتبت بغير اللاتينية والتي أنهت حروب الوراثة الأسبانية بين فرنسا وأسبانيا من جهة، والنمسا وانجلترا وهولندا من جهة أخرى، وهى مكملة لمعاهدة (أترخت) المشهورة ١٧١٣م.

---

[١٤]- العيسوي : مرجع سابق .

على أية حال فإن اللاتينية قد عاصرت لغة عالمية أخرى نهضت وازدهرت، فانطلقت من معقلها الأول شبه الجزيرة العربية إلى العراق وفارس والشام، ثم إلى مصر وشمال غرب إفريقية والأندلس، والسودان...الخ، وهكذا انتشرت العربية إلى مناطق مترامية الأطراف، فأصبحت أوسع اللغات انتشارا في العالم آنذاك، واستمرت بشكل أو بأخر حتى العصر الحديث، إذ يعدها المحدثون من اللغويين ثالثة لغات العالم الحديث من حيث انتشارها وسعة مناطقها.

ويكفى أن نَذْكر - أو نُذكِّر- أن العربية تنتشر الآن في مساحة من الأرض- ١٤ مليون كم٢ في ٢٢ قطرا عربيا- في أميز مواقع العالم ومناخاته، لا يفوق العالم العربي في المساحة غير روسيا الاتحادية -١٧.٧٨ مليون كم٢ ، معظمها صحراوات جليدية في سيبريا، أو كما يسمونها في روسيا (الشرق الأقصى) ويضاف إلى ما سبق كله انتشارها خارج وطنها المترامي الأطراف من المحيط إلى الخليج، وهذا ما رأيته بأم عيني في رحلاتي وعملي في بلدان إفريقية وآسيوية وأوربية، ولكننا سنعطى هنا بعض أمثلة على استخدام العربية كلغة للدبلوماسية الدولية تاركين تفصيل الحديث عن لغتنا في العلاقات الدولية المعاصرة إلى مكانه في هذا البحث:

١- **رسالة سلطان أهير إلى أمير دورى [١٥] للتوصية بالرحالة الألماني بارت عام ١٨٥٠م والذي وسمته الرسالة بعبد الكريم، منها: (من أمير أهير عبد القادر بن السلطان محمد الباقر إلى أمير دورْىَ... قادم إلينا وإلي أمير المؤمنين من اسمه عبد الكريم، منى إليك أن تحفظه وتكرمه لئلا يؤذيه أحد بأذية من المحاربين والظالمين، ماله وعرضه، حتى يصل إلى أمير المؤمنين، كتبنا إليك هذا لأجل المحاربين أن تكون حافظا له غاية الحفظ والسلام[١٦]) ويلاحظ أن الرحالة الألمانية غير اسمه إلي اسم عربي هو (عبد الكريم) حتى تسهل حركته بين هاتيك البلدان غير العربية.**

١٥- كانت تقع إلي الشمال من مدينة كنو ، إحدى أهم مدن الشمال النيجيري ، أما أهير فتقع الآن في جمهورية النيجر : طرخان- إمبراطورية البرنو الإسلامية ، خريطة رقم ١ ، وانظر ص ١٤٦.
١٦- طرخان : مرجع سابق ، ص ٢٠٥-.٢٠٦

٢- وهناك مثال آخر شديد الوضوح على استخدام العربية في العلاقات الدولية، هو تلك المراسلات التي تمت بين مملكة برنو حول بحيرة تشاد، ومملكة صكتو[١٧] المجاورة، ففي سنة ١٨٠٨م تمكن الفلانيون بقيادة عثمان بن فودي (ت١٨١٧م) من القضاء على مملكة (غوبر) ودخول عاصمتهم (القاضاوا) وقد تأسست على أنقاض هذه المملكة وغيرها من ممالك الهوسا السبع وما جاورهن إمبراطورية عظيمة استمرت قرابة من الزمان.

٣- وبمجرد قيام هذه الدولة العظيمة بدأت الحروب بينها وبين مملكة (برنو) المجاورة، وهنا لجأ زعيم هذه المملكة والرجل القوى فيها محمد الأمين الكانمى (ت١٨٣٥م) إلى مراسلة زعماء صكتو، وعلى رأسهم مؤسس الدولة، وقد بدأت المراسلات عنيفة عنف الصراع والحرب، إلا أن الأمور هدأت أخيرا بين الجانبين، وعم السلام بين الجارتين، ومما جاء فى هاتيك المراسلات التي أثبتها محمد بللو بن عثمان بن فودي في كتابه (إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور) والذي نشر في قاهرة المعز [١٨] ١٩٨١:

الحمد لله والصلاة والسلام على من بعث بالحنيفية السمحة وعلى أصحابه، من محمد الأمين الكانمى إلى العلماء الفلاتبين ورؤسائهم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإنه لما ساقتنى المقادير لهذا الإقليم – يقصد برنو- وجدت نار الفتن بينكم وبين أهل الوطن موقودة ، فسالت عن السبب، فقيل: بغى، وقيل: سنة ، وتحيرنا في الأمر، فكتبت لإخوانكم المجاورين لنا وثيقة طلبت منهم بيان السبب والدليل على الجواز، فأجابوني بجواب ركيك لا يصدر عن عاقل فضلا عن عالم، فضلا عن مجدد.

وعدوا فيه أسماء كتب، لنا إطلاع على بعضها، لكن لم نفهم منها ما فهموه، وبينما نحن في حيرة التردد، هجم بعضهم على دار الإمارة ، ونزل المهاجرون قريبا منا، فكاتبناهم

١٧- تقع الآن شمال غرب نيجيريا

١٨- انظر ص ١٥٣، ١٨٨ ، ١٩٤.

وناشدناهم الله والإسلام أن يكفوا عنا شرهم فامتنعوا، وصالوا علينا، فقمنا مدافعين عن أنفسنا، متبرئين إلى الله من سوء صنيعهم، وحين ضاقت علينا الأرض، ولم نجد مقاما ولا مجالا، وحين وجدنا راحة رأينا المكاتبة، وإن لم تنجح فهي أحسن من السكوت.

إن قلتم: فعلنا ذلك بكم لكفركم فإنا برآء من الكفر بعيدون عن ساحته...

انتهت الرسالة الأولى من الكانمى التي قبسنا بعضها هنا.

ب- وبعد أخذ ورد بين الجانبين كتب الإمام عثمان بن فودي إلى: (الشيخ العالم الحاج محمد الأمين بن محمد الكانمى، يسلم عليه وعلى من كان معه من المسلمين، وسبب الوثيقة إعلامك خمسة أمور: (سبب الذي وقع بيننا وبين سلاطين حوس – سبب القتال الذي وقع بيننا وبين سلطان برنو وأهله – إننا لا نكفر أحدا من أهل القبلة – إننا نكفر كل من يخلط أعمال الإسلام بأعمال الكفر وأقواله – حكم إقامتك في برنو).

وبعد تفصيل الحديث في كل ما سبق تنتهي الرسالة بما يلي: (ولا تظن أننا نكفرك وجماعتك الذين كانوا معك من المسلمين. بمظاهرة أهل برنو علينا – والعياذ بالله من ذلك – لأننا لا نكفر المبتدع المتأول، فكيف نكفر العالم السني، وهو على التأويل في كلامه، إذ قد رأينا تأويلك في جميع وثائقك.... فقد بان الفرق بين أمرك وأمرهم – أهل برنو- لأنك مسلم محقق إسلامه، بل عالم سني، وما سمعنا من العوام والخواص ممن عرفك إلا من يحدث أنك عالم صالح، والسلام).

ونترك العربية -مؤقتا- واللاتينية إلى الحديث عن لغتين أوربيتين نهضتا في العصر الحديث وأصبحتا لغتين عالميتين، وهما الفرنسية والإنجليزية ، بعدهما نعود إلى العربية والعود دائما أحمد .

أولاً: الفرنسية: ورثت هذه اللغةُ اللاتينيةَ، وإن جاءت الأولى من الأخرى ، وتفرعت عنها وانتقلت من طور إلى طور حتى أصبحت لغة عالمية: (فأظلت الثقافة الفرنسية – ولغتها- خلال القرن الثامن عشر كله بلاط الحكام وصالونات الأمراء في العالم المتمدين، ونُظر إلى اللغة

الفرنسية على أنها اللغة الأولى للثقافة في روسيا وبولندا وبروسيا.... كانت هذه اللغة تسمع في مسارح أوربة أكثر مما كانت تسمع اللغات المحلية، وكانت الأرستقراطية الروسية تصطنعها لغة للحديث والخطاب بين أبنائهم[١٩]).

أما في أوربة نفسها فكانت معظم دولها تدين للغة الفرنسية والفكر الفرنسي بالولاء وتعد الفرنسيين أساتذتهم في كل المجالات الثقافية، فاتخذت الفرنسية أداة التعبير في المكاتبات الدبلوماسية، وسجلت بها المعاهدات الدولية، وتعد معاهدة (راستات) -كما سبق- أول معاهدة أوربية تكتب باللغة الفرنسية بدلا من اللاتينية التي كانت تصطنع في كل المعاهدات قبل ذلك.

ومنذ ذياك الحين إلى وقت قريب ظلت اللغة الفرنسية اللغة العالمية الأولى في المسائل الدبلوماسية، بل وفى الأدب والفلسفة في معظم أنحاء العالم المتمدين، فأقبل عليها الناس في كل البيئات، بل ألف بها كثير من علماء تلك الدول الأوربية، منهم الفيلسوف الألماني ليبتننز[٢٠] (ت١٧١٦م) والرياضي الفلكى الهولندى هيجينز (ت١٦٩٥م)[٢١].

على أية حال فإن الفرنسية سادت قارتها، ثم انتشرت إلى كندا وبعض بلدان إفريقية وربما أسيا، والتي اصطنعت في كل المعاهدات الدولية والمراسلات الدبلوماسية قد استحقت عن جداره أن تعد - منذ نهاية القرن التاسع عشر – اللغة العالمية الأولى.

غير أن هذه العالمية لم تدم للفرنسية، لقد وجدت منذ أوائل القرن العشرين منافسا قويا لها في الميدان العالمي، هو اللغة الإنجليزية التي شاركت الفرنسية لأول مرة في معاهدة فرساي بعد الحرب العالمية الأولى، وهاك التفصيل.

ثانيا- الإنجليزية: في أواخر القرن الخامس الميلادي وأوائل القرن السادس غزا الجزر البريطانية جماعات من الجنس الجرماني يسمون بالإنجليز السكسون، جاءوا من غرب أوربة

١٩- هذا ما يفسر وجود كلمات روسية كثيرة مقترضة من الفرنسية ، مثل : Fabrique - addresse، بمعني :-(مصنع – عنوان) وقد كتبنا الكلمتين بالفرنسية ، وليس الروسية ، لأن بعض القراء ربما لا يعرف الروسية أو الحرف الروسي .

٢٠- البارون جوتفرد ولهلم فون : فيلسوف ورياضي ألماني ، قال بعدم التعارض بين الإيمان والعقل .

٢١- كريستان هَيجنز : فيزيائي وعالم فلك هولندي ، أخترع – عام ١٦٥٦م – أول ساعة برقاص أو بندول .

وأسسوا دولتهم شرق الجزر وشمالها، وهنا قام الصراع بين لغة الغزاة الجرمانية وبين اللغة الكلتية التي كانت سائدة آنذاك، فانتصرت اللغة الغازية وتقهقرت الكلتية ثم انزوت بقاياها في شمال اسكتلندا وفى ويلز من أقصى الغرب، وأيرلندا.

هذه هي البداية الحقيقية لقصة اللغة الإنجليزية التي تطورت ، ثم تطورت حتى صارت على صورتها الآن ، ومن أطراف هذه القصة:

في عام ١٠٦٦م غزا النورمانديون – نسبة إلى نوما نديا التي تقع في أقصى الغرب الفرنسي – وبقى الغزاة الفرنسيون قرنا من الزمان، فقام الصراع اللغوي بين لغة الغزاة – الفرنسية- وبين لغة الإنجليز ، والذي استمر قرنين من السنين، خرجت اللغة الإنجليزية من هذا الصراع وقد فقدت نحو ثلثي مفرداتها، كما أنها لم تعد لغة الأدب والثقافة، وإن ظلت لغة الكتابة في مدارس بعض المناطق، أما الفرنسية الغازية فكانت –آنذاك- لغة الطبقة العليا والحكام.

وهكذا لم يمض غير زمن قليل على الغزو والنورماندى حتى أصبحت معظم كلمات المهن والحرف فرنسية، وكذا الكلمات الدالة على أصناف الطعام ومواعيده ، بل أصبحت معظم المدارس في أيدي من يعلمون بالفرنسية ، خلاصة القول أنه ترتب على الغزو النورماندي تغييرات مهمة في بنية الإنجليزية وتراكيبها .

٢- وبرغم ذلك كله لم يكد يبدأ العام ١٣٦٢م حتى بدأت اللغة الإنجليزية تتعافي شيئاً فشيئاً ويظهر كيانها المستقل ، فاعتُرف بها أولاً في المحاكم البريطانية ، ثم بعد قليل أصبحت اللغة الرسمية في البرلمان ، وأخذت من ذلك الحين تعتمد في آدابها على ترجمة الآثار الأدبية من اللغات الأخرى ، سيما الفرنسية ، وما هو ترتب عليه دخول مئات الكلمات الفرنسية إلي الإنجليزية ، وبذا أصبحت الأخيرة مزيجاً في مفرداتها، بعضه جاء من الأصل الجرماني ، والآخر من الأصل اللاتيني الفرنسي .

٣- على أية حال فقد بقيت الإنجليزية حبيسة جزرها حتى سنة ١٦٢٠م حين هاجرت جماعة من الإنجليز المغامرين إلي أمريكا ، واستقروا أولا في فرجينيا التي تقع في أقصي شرق الولايات المتحدة الأمريكية .

٤- وسارت الإنجليزية (٢٢) من فتح إلي آخر ، ومن تقدم إلي نظيره ، حتى بدأ القرن العشرون ، في ربعه الأول كانت الحرب العالمية الأولي (١٩١٤- ١٩١٨) وفي العام التالي ١٩١٩ كان مؤتمر فرساي (٢٣) في الحاضرة الفرنسية باريس الذي أنهي هاتيك الحرب ، وأقام عصبة الأمم التي ورثتها الأمم المتحدة .

.يقول رولاند بريتون(٢٤) : " في تاريخ يرجع إلي سنة ١٩١٩استطاع رئيس الولايات المتحدة ودرو ويلسن أن يجعل معاهدة فرساي التي أنهت الحرب الأولي بين ألمانيا وبين الحلفاء – بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة – تكتب بالإنجليزية والفرنسية ، ومنذ ذياك الوقت فرضت الإنجليزية نفسها في الدبلوماسية، وتدريجياً في العلاقات الاقتصادية والإعلام ، وتبدو هذه اللغة مصممة الآن على أن تكون هي المحتكرة للاتصالات على نطاق العالم".

ويقول هنتنجتون :" قرنان من القوة البريطانية الأمريكية الاستعمارية والتجارية والصناعية والمالية تركا ميراثاً ضخماً في التعليم العالي والحكومة والتجارة والتكنولوجيا في أنحاء العالم " أو بمعني آخر فرضا اللغة الإنجليزية على العالم فرضاً (٢٥) .

وعليه فهناك الآن صورتان ربما تكونان متناقضتين ، الأولي تري في الإنجليزية اللغة العالمية الأولي ، بل والوحيدة على مستوي الكون كله من أقصاه إلي منتهاه ، والثانية أن هذي

٢٢- أفدنا بشكل رئيس في الكتابة عن اللغات العالمية (الأكادية – الآرامية – الإغريقية – اللاتينية – العربية – الفرنسية – الإنجليزية) من السطور الممتعة التي سطرها المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس بعنوان (لغات عالمية في التاريخ) انظر : اللغة بين القومية والعالمية ص ٢٥٥- ٢٨٢.

٢٣- لمزيد من التفصيل عن مؤتمر فرساي ، انظر : جرانت ، وهارولد تمبرلي ، ترجمة محمد أبو درة ، ولويس اسكندر ، القاهرة ١٩٧٨، ص ٢٣٠.

٢٤- لغوي جغرافي ، وأستاذ فخري في جامعة باريس ، انظر : هل يمكن إنزال الإنجليزية عن عرشها؟رسالة اليونسكو ، أبريل ٢٠٠٠، ص ٢٣ .

٢٥- مرجع سابق ، ص ١٠٣.

اللغة ليست وحيدة على الساحة ، بل هناك نوع من التعدد اللغوي ، حيث بدأ كل قوم يشعرون بذاتهم ولغتهم وضرورة الحفاظ عليها .

أما الصورة الأولي فيمثلها بعض العرب أصدق تمثيل ، فهم أكثر ملكية من الملك نفسه ، إذ هم أشد حرصاً وشغفاً بالإنجليزية من الإنجليز والأمريكان أنفسهم ، وكأنها في رأي بعضهم المفتاح السحري لسعادة الدارين ، وهذا مثال صارخ لمثل هاتيك الآراء (٢٦) :-

١- اللغة الإنجليزية هي أكثر اللغات انتشاراً في العالم ، حيث إن شخصاً من بين كل أربعة أشخاص في العالم يستطيع التواصل باللغة الإنجليزية .
٢- الإنجليزية هي اللغة الرسمية في التجمعات السياسية الدولية في جميع أنحاء العالم.
٣- وهي لغة كثير من المنظمات العلمية الطبية ولغة التقنية والتجارة والسياحة ، وغالبية الأبحاث العلمية والمراجع والمصطلحات والمؤتمرات العالمية وقواعد المعلومات ... الخ .
٤- يبلغ عدد الطلاب الذين يتعلمون الإنجليزية نحو مليار طالب ، ولا يوجد دولة في العالم لا تدرس اللغة الإنجليزية في مدارسها وجامعاتها .

أما الصورة الثانية التي تري أن الإنجليزية ليست وحدها ، كما كان الشأن مع اللغات القديمة حتى اللاتينية والفرنسية ، حيث كان للدبلوماسية والعلاقات والمعاهدات الدولية لغة واحدة وحيدة ، وهذي بعض المفردات واللقطات:-

١- ليست الإنجليزية هي اللغة الرسمية الوحيدة في الأمم المتحدة ، بل هناك خمس لغات أخري رسمية هي :(العربية ، الفرنسية ، الصينية ، الروسية ، الأسبانية).
٢- وعليه يمكن أن تكون المعاهدات الدولية بأحدي اللغات الست ، أو بلغة الدولتين أو الدول المتعاهدة – كما سيأتي .

٢٦- انظر البحث الضافي الذي سطرته الدكتورة ريما سعد الجرف (اتجاهات الشباب نحو استخدام اللغتين العربية والإنجليزية في التعليم) وما نقلناه عن الدكتورة في المتن إنما هو تصوير لآراء بعض العرب المتكأكئين على الإنجليزية ، وليس رأيها – فيما أفهم – انظر : مجلة ديوان العرب ، عدد أيلول ٢٠٠٤ ،ص ٢١.

٣- إن الإحصائيات العالمية تؤكد أن اللغة العربية تحتل المكان الثالث بين اللغات المستخدمة في الإذاعات الأجنبية بعد الإنجليزية والفرنسية [٢٧].

٤- لقد بدأت بعض الأصوات في الغرب الأوربي تنادي بالتعدد اللغوي - بعيداً عن احتكار لغة واحدة ، وذلك بمحاولة الحفاظ على اللغات المعرضة للانقراض ، بل المحافظة على اللغات ذات الانتشار الواسع التي تحاول الإنجليزية أن تحتنكها ، أو أن تأكلها ، لقد تساءل أحد اللغويين [٢٨] الفرنسيين في عنوان مقال له : (هل يمكن إنزال الإنجليزية عن عرشها ؟) ومما جاء في المقال :

" إن القضاء على اللغات – سواء تم بقصد أو بدون – هو واحدة من الأدوات الأساسية لقتل الأعراق ، ولحرمان الشعوب من ثقافتها التي كانت الجريمة الكبرى التي يرتكبها الاستعمار " في القديم والحديث .

ويختم رولاند بتساؤله :" إن موضوع اللغة في القرن الحادي والعشرين يثير سؤالين مهمين ، كيف يمكن للغات القومية المستخدمة على نطاق واسع أن تقاوم اعتداء اللغة الإنجليزية عليها ؟ وكيف يمكن إنقاذ لغات الأقليات المعرضة للانقراض ، وإعطاؤها فرصة الدخول في التنمية ؟".

ولا يهمنا نزول هذه اللغة أو تلك عن عرشها ، بل المهم عندنا أن ترقي لغتنا العربية دون هيمنة أو سيطرة على غيرها من اللغات التي ننظر إليها بكامل التقدير والاحترام .

كما أننا لسنا ضد تعلم اللغات الأجنبية ، إنها فرض ، وإن كانت فرض كفاية ، وليست فرض عين ، لكننا لا نوافق على احتكار اللغة الإنجليزية – أو غيرها – لتعليم اللغات الأجنبية ، وإنما نتطلع إلي تعليم أكثر من لغة أجنبية في مدارسنا وجامعاتنا ، على الأقل تلك اللغات الثماني التي يتكلم بها نصف سكان المعمورة.

٢٧- عبد العليم ، د. مصطفي – د. يحي فرغل : الآثار الإيجابية لوسائل الإعلام في اللغة العربية، مؤتمر اللغة العربية في وسائل الإعلام ، دار العلوم ٢٠٠٢، ص ٣.
٢٨- بريتون : مرجع سابق .

ومن ناحية أخري فإن من الخطأ الأكبر والخطر الأعظم أن يتعلم الطفل اللغة الأجنبية قبل أن يتعلم لغته العربية، لغة الأم ، فإن اقرب وسيلة وأسهلها للقضاء على لغة ما هو تدريس لغة أخري مكانها ، فإن اللغات التي لا تدرس في المدارس تقتصر على المنازل تنزوي فيها ، وعلى الفن الشعبي ، وفي النهاية تدفع خارج البيئة الثقافية التي تغذيها ، ثم تنقرض مثل غيرها التي انقرضت ، ولا سبيل لعودتها مرة أخري .

٥- وأخيراً فإن الشعور القومي المتنامي لدي كثير من الشعوب ، ومنها الشعوب التي تخلصت من نير الاستعمار يدفع هذي الشعوب إلي الاعتزاز بلغاتها ومحاولة التحدث بها أمام الآخرين في المحافل واللقاءات الدبلوماسية ، والاستعانة بالترجمة الفورية.

لقد كان الدبلوماسيون والساسة في السابق يكتفون بمعرفة الفرنسية أو الإنجليزية أو غيرها من اللغات الاستعمارية ، أما الآن فقد تغيير الوضع ، فأصبح الدبلوماسي أو المتخصص في كل منطقة على علم بلغتها ما أمكن ، وعليه فقد حظيت المنطقة العربية بمن استعرب من السفراء ، ومنهم على سبيل المثال :

- **هيوم حوران** : الذي كان يتكلم العربية بطلاقة ، وبعد أن أقسم اليمين كسفير لدي المملكة العربية السعودية – ١٩٨٧- بدأ يلقي أبياتاً من الشعر العربي يحفظها عن ظهر ، يقول أحد الحاضرين – مساعد وزير الخارجية الأمريكية – آنذاك " لست أعرف ما هي تلك الأبيات وما معناها ، ولكنها كانت عذبة في الأسماع [٢٩]

ويقول روبرت كابلان[٣٠] :" كان للسعوديين تجربتهم مع سفراء أمريكيين يجيدون اللغة العربية ، كان أول سفير على الإطلاق لدي المملكة الكولونيل ويليام أيدي الذي كان نموذجاً يحتذي به كما كان بيت هارت ، وهيرمان أيلتس ، وجيم أكنز ، وريتشارد ميرفي ، لكن عربية حوران كانت أفضل بكثير من كل هؤلاء الرجال "."

٢٩- كابلان : الحملة الأمريكية ، مستعربون وسفراء ورحالة ، ترجمة محمد الخولي ، القاهرة ١٩٩٦، ص٤٥٢.
٣٠- السابق ، ص ٤٥٦.

ـ السفير بشار يقش : الذي كان سفير تركيا في القاهرة في حكومة نجم الدين أربكان ثم وزيراً للخارجية في بداية حكم رجب أردوغان ، ولقد تحدثت إلي السفير يقش عندما زار جامعة المنصورة – ١٩٩٧ – وهو يستطيع بسهولة التواصل باللغة العربية .

والدبلوماسي الذي يعرف العربية فرصته أوسع ممن يتعلم لغة أخري غير العربية فالذي يتعلم الصينية أو الهندية مثلاً لديه فرصة للعمل في الصين والهند فقط ، في هاتين الدولتين فقط ، أما من يجيد العربية فلديه فرصة العمل في الدول العربية ، وهي الآن ثنتان وعشرين دولة ، إضافة إلي هذي الدول العربية هناك دول أخري العربية فيها لغة ثانية مثل إيران .

٦- يقول الرئيس الصيني الأسبق شوان لاي [٣١] :- إن الصين من بلاد العالم الثالث وإنها تريد الآن أن تنفتح على مثيلاتها من بلدان هذا العالم ، وأن تتعاون معهم وتتحاور ، ولكن المشكلة هي لغات هذا الحوار ، إننا نرفض بصفة قاطعة أن نتحدث مع هؤلاء الإخوة بلغات المستعمرين الذين كانوا يحتلون بلادهم ، لأننا لو فعلنا هذا لكرسنا الاستعمار وزدنا في عمره عن طريق دعم لغته وحضارته في تلك البلاد ، وهذا ما لا نرضاه ، لا لهم ، ولا لنا ، الحل الوحيد الذي انتهينا إليه هو أن نتخاطب مع هذه الشعوب بلغاتنا القومية ، وفي سبيل تحقيق ذلك اخترنا ثماني لغات في المرحلة الأولي " كان منها اللغة العربية .

ليس هذا فقط ، بل إن الرئيس الصيني عند افتتاح جامعة اللغات الأجنبية في بكين يتحدث عن أهمية اللغات الأجنبية وأهمية دراستها ، فكان مما قال " إن لكل لغة طريقتها في التعبير ، بعض هذه اللغات لديها قدرة كبيرة على إيصال المعني بعبارة مختصرة ، لا يجاريها فيها غيرها ؟ إنه لما انقسم العالم إلي قوتين كبيرتين ، هما الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية كانت اللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي عبرت – بما لديها – من صيغة للمثني – عن الظاهرة

٣١- بدوي ، د. السعيد : طريق الحضارة ، المجلة العربية للثقافة (الحوار بين الثقافة الصينية والثقافة العربية) المنظمة العربية للتربية ... ، تونس ٢٠٠٠م، ص ٣٠١.

العالمية two powers " وقد فهم الحضور أن الرئيس شوان لاي ربما كان يوجه الأنظار إلي إعطاء اللغة العربية قدراً خاصاً من الاهتمام .

وكانت هذه الاستراتيجية الواضحة التي وضعها الرئيس لتعليم اللغات الأجنبية ، إنها إعداد كوادر قادرة على التخاطب باسم بلادهم الصين مع كل شعب بلغته القومية ، هذا الإعداد هو حجر الأساس الذي قام عليه تعليم اللغات الأجنبية في الصين (٣٢) .

وهكذا استطاعت الصين أن تقيم علاقات تجارية ضخمة ، ليس مع العالم العربي فقط بل مع العالم بأسره ، وكان أحد أسباب هذا النجاح ذلك المفتاح البسيط (أن تتعامل مع كل شعب بلغته) .

٧- ولكن الصينيين – وربما غيرهم عاتبون على العرب ؟ تقول رئيسة تحرير الطبعة العربية لمجلة الصين اليوم :" وقد وجدت بعض العرب لا يفخرون بلغته الأم ويتباهى بنطق غيرها من اللغات الأجنبية ، وأذكر أنني التقيت – ١٩٩٨- وبعض الصينيين مع رئيس شركة صناعية مشهورة بإحدي الدول العربية ، ولقد سمعناه قبل حديثنا معه يتحدث مع مواطنيه المحليين باللغة العربية ، ولكن عندما بدأنا حديثنا معه باللغة العربية قال : I Prefer English ، ودهشنا كثيراً ! هل الإنجليزية ترفع من مكانته الاجتماعية(٣٣) !!".

ونحن نقول للسيدة فريدة : إن بعض العرب ربما لا يتصور أن أحدا في هذه المعمورة يتعلم لغتنا ، فضلاً عن أن يتكلم بها ، وهو تصور مخالف للواقع تماماً ، ففي بحث لنا عن المتحدثين بلغتنا من غير العرب في فضائية الجزيرة سُمّيتْ أعلام وشخصيات سياسية وإعلاميون (٣٤) كما يستطيع القارئ – إذا رغب – أن يلاحظ بعض هؤلاء المتحدثين الأجانب

٣٢- السابق .
٣٣- فو ، فريدة وانج : الإعلام الخارجي الصيني باللغة العربية ، المجلة العربية للثقافة ، مرجع سابق ، ص ٣٠١.
٣٤- ألقي بمؤتمر علم اللغة بدار العلوم ٢٠٠٢م.

بلغتنا في الفضائيات العربية أوفي الإذاعات الموجهة إلي العالم العربي ، خاصة في بعض النشرات الإخبارية أو البرامج السياسية ... إلخ .

أما هذا المدير العربي صاحب I Prefer English فنقدم له نصيحة خبير التفاوض الأمريكي دين آلن فوستر (٣٥) عندما تجد مفاوضك أو مفاوضيك يتحدثون لغتك :" هذه ميزة حقيقية ، عليك استغلالها قدر الإمكان ، ويمكنك استغلال معرفة مفاوضيك بلغتك – مهما كانت محدودة – لصالحك عن طريق الاستجابة لمبادرتهم بطرائق مختلفة ، منها أن تظهر تقديرك لجهودهم ، ولا تجعل ترددهم وتخوفهم من استخدام لغتك يحبطك، فأنت في جميع الأحوال محظوظ لاستعدادهم التفاوض معك بلغتك ، وتذكر أنهم يؤدون لك خدمة ثمينة:

ثم يردف فوستر : وهناك عديد من التصرفات التي يمكن من خلالها أن تحقق أكبر قدر من الفائدة لكلا الطرفين المتفاوضين :

أ. تحدث بلغة بسيطة ، بعبارات وكلمات قصيرة ، سهلة وشائعة ، وكلمات قصيرة المقاطع ، واستخدام عبارات مباشرة واضحة ، بهذا تصبح لغتك مفهومة .

ب. تجنب استخدام الكلمات التي لها أكثر من معني ، فإن هذا ربما يوقع مفاوضك في الحيرة والإرباك .

ج. تحدث ببطء ، وحذار من الصياح ظناً منك أن هذا سيساعد الآخرين على فهمك ، فالصياح في وجه شخص لا يتحدث لغتك يبدو كأنه صياح غضب وهو بالطبع أمر مهين للغاية .

ء. استخدم الحركة والإيماءة - أو اللغة غير اللفظية – مكان الكلمة والعبارة ما أمكن ، فعلي سبيل المثال لا تقل (افعل هذا) حين يمكنك الإشارة لمحدثك بأن يوقع على الورق .

٣٥- المساومة عبر الحدود ، كيف تتفاوض بنجاح في مجال الأعمال في أي مكان في العالم ، ترجمة نيفين غراب ، القاهرة ١٩٩٧م ، ص ١٠٧.

هـ. لا تحول الأسماء إلي أفعال ، مثل (لبنن – بلقن - قرظن) من (لبنان – البلقان - قرظاي [٣٦]) فربما لا يفهم مستمعك هذا .

و. لا تستخدم كلمات تحس أن لها معني مختلفاً لدي الطرف الأخر .

ز. تجنب تكرار الكلام الذي تقوله .

ح. تجنب المزاح ، فإن الأمر في ثقافة ما ربما لا يكون مضحكاً في أخري .

ط. تجنب استخدام الألفاظ بشكل بلاغي ، أو بلهجة محلية أو عامية [٣٧] .

ونترك هذا السجال بين من يضع الإنجليزية على عرش اللغات جميعاً - وعلى رأسهم بعض العرب – وبين الرائين للتعددية ، وأن الإنجليزية ليست على الساحة وحدها ، نترك هذا كله إلي التعريف ببعض المصطلحات التي يستخدمها هذا البحث ، ومنها :-

١- القانون الدولي : يلاحظ أنا عطفنا في عنوان البحث (العلاقات الدولية) على (القانون الدولي) لآنا نري أن هذا المصطلح الأخير يحمل في كثير من طياته معني مجازياً يفترق عن القانون المحلي ، الذي تطبقه كل دولة على رعاياها ، فإن هذا الأخير يحظى بالتفرقة بين السلطة المشّرعة ، وبين السلطة المنفذة ، أو (التنفيذية) ولذا فإن المفترض أن هذا الأخيرة جهة محايدة ، ولا رأي لها في هذا القانون.

أما (القانون الدولي) فهو على العكس مما سبق ، السلطة المشرعة هي ذاتها الجهة المنفذة ، وهي الدولة في الحالتين ، وهو يقوم على أن العقد شريعة المتعاقدَين أو المتعاقدِين ، أو هي أشبه ما تكون إلي مبدأ (المقر سيد إقراره) أي من حقه أن يرجع عنه إذا أراد ، لذا فإننا نري أن التعبير الأدق هو (العلاقات الدولية) وليس القانون الدولي [٣٨].

تقول الدكتورة عائشة راتب :" نظرا لعدم وجود المشرع في المجتمع الدولي يقع على الدولة عبء وضع القواعد القانونية ، كما أنها تخاطب في نفس الوقت بأحكامها وتقوم الدول

٣٦- الرئيس الحالي لأفغانستان .
٣٧- حاولنا التصرف والاختصار في كلام فوستر حتى يتناسب مع مقام كلامنا وسياقه .
٣٨- مصطفي ، د. مني : المنظمات الدولية الحكومية العالمية والنظام الدولي الجديد ، القاهرة ١٩٩٤، ص ٣١.

بوضع القواعد الدولية عن طريق الاتفاقيات المختلفة ، التي تشترك فيها بملء حريتها ، كما تلتزم – بالتالي – باحترامها ـ تطبيقاً لقاعدة: العقد شريعة المتعاقدين [٣٩].

فما هي مصادر القانون الدولي ؟ إنها : (المعاهدات الدولية – العرف الدولي – المبادئ العامة للقانون) أما المصادر الاحتياطية فهي : (أحكام المحاكم – آراء كبار الفقهاء – مبادئ العدالة والإنصاف – التصرف بالإرادة المنفردة) [٤٠] .

فمتي استخدم تعبير (القانون الدولي) ؟ استخدم هذا التعبير لأول مرة الفيلسوف الإنجليزي بنتام (١٧٤٨-١٨٣٢) في مؤلفه الذي نشر ١٧٨٩ بعنوان : (مقدمة حول مبادئ الأخلاق والتشريع) وكان يقصد بهذا التعبير مجموعة القواعد المطبقة على الجماعة الدولية ، وكان التعبير المتعارف عليه من قبل ، هو : (قانون الشعب) أو قانون الأمم، وقد استخدمه فقهاء القانون الدولي القدامى ، وعلى رأسهم الفقيه الهولندي هوجو جروسيوس (١٥٨٣-١٦٤٠) الملقب عند فقهاء الغرب بأبي القانون الدولي والفقيه الألماني صموئيل بوفندروف (١٦٣٢-١٦٩٤) وكذلك الفقيه السويسري إمَّيردي فاتّل (١٧٠٤-١٧٦٧[٤١]) .

والآن نميل إلي كليمة صغيرة عن جهود المسلمين في دراسة العلاقات الدولية ، يقول الدكتور إبراهيم العناني :" إن المسلمين الأوائل قد تناولوا قواعد العلاقات الدولية في كتاباتهم ومؤلفاتهم في أبواب مستقلة تحت عنوان : كتاب السّير أو الجهاد ، أو :أحكام السير ،أي بيان طرق تعامل المسلمين مع غيرهم ، وبيان مالهم وما عليهم ، سلماً وحرباً أو بمعني آخر : أسس العلاقات بين المسلمين وغيرهم ، ويمكن القول بأن الإمام محمد بن الحسن الشيباني -١٣٢-١٨٩هـ - هو أول من جمع أحكام السَّير في مؤلف مستقل ، سيما في كتابيه : السَّير الكبير ، والسَّيَّر الكبير ".

٣٩-التنظيم الدولي ، القاهرة ١٩٩٨ ، ص ١.
٤٠- جويلي ، د. سعيد سالم ، محاضرات في مبادئ القانون الدولي العام ، القاهرة ٢٠٠١، انظر ص ١٨ .
٤١- العناني : القانون الدولي العام ، القاهرة ١٩٩٠، ص ٧.

واعترافاً بمكانة هذا الفقيه الحنفي قام علماء القانون الدولي والمشتغلين به في مختلف بلاد العالم بتأسيس جمعية في ألمانيا باسم (جمعية الشيباني للحقوق الدولية) الهدف منها التعريف بالشيباني وآرائه ، ونشر مؤلفاته المتعلقة بأحكام القانون الدولي الإسلامية كما أن جامعة باريس قررت عام ١٩٧٠ الاحتفال بذكري مرور ألف ومائتي سنة على وفاة الشيباني في عام ٨٠٤م (٤٢) .

ليس هذا فقط ، بل أثبت المستشرقون المطلعون أن الغرب تأثَّر تأثُّراً كبيراً بما خلفه العرب في القانون الدولي ، فالفقيه الهولندي جرو سيسوس- السابق ذكره – كان منفياً إلي الآستانة ، وهو ما أعطاه فرصة الاتصال بالعالم الإسلامي والعربي ، ومعرفة أنظمته وأعرافه الدولية ، كما تأثر هذا الفقيه بمن سبقه ، أمثال فرانسيسكو سواريز الأسباني الذي ولد في غرناطة ١٥٤٨، وتوفي في لشبونة ١٦١٧ ، لقد تأثر – هو وغيره – بدورهم بما كتبه المسلمون والعرب – وبما ساروا عليه – في العلاقات الدولية والقانون الدولي (٤٣) .

وبعد هذه ألاستطرادة عن الدور العربي والإسلامي في دراسة العلاقات الدولية نعود مرة إلي التعريف ببعض المصطلحات في القانون الدولي :

٢- الدبلوماسية :- وهي معربة (٤٤)عن الكلمة الإنجليزية **Diplomacy** ، وقد جاءت هذه الأخيرة عن الفرنسية **Diplomatie** التي جاءت عن اللاتينية التي أخذتها عن سابقتها الإغريقية أو(اليونانية القديمة) **Diplõma** وتعني الخطاب المطوي **a folded letter** أو بعبارة أخري كانت الكلمة في الإغريقية بمعني:

" الوثيقة الرسمية المطوية مرتين ، والتي كانت تصدر من رؤساء المدن الإغريقية القديمة ، وترتب لمن تمنح له امتيازاً معيناً (٤٥) ".

٤٢- السابق .
٤٣- السابق ، ص ٨.
٤٤- التاء في كلمة (الدبلوماسية) هي تاء التعريب ، الدالة على أن الكلمة معربة ومنقولة عن كلمة غير عربية .
٤٥- أبو العطا ، د. رياض ، د. وائل علام : القانون الدولي العام ، القاهرة ٢٠٠٠، ص ٧ .

وتعرف الديبلوماسية بأنها :(علم وفن إدارة العلاقات الدولية) ولكن الكلمة تستخدم أيضاً بمعني المهنة أو الوظيفة ، فيقال : هذا الشخص يعمل بالدبلوماسية ، أي بمهنة الديبلوماسية ، كم ا ستخدم بمعني الطريقة التي تدار بها السياسة الخارجية لدولة ما كالدبلوماسية المصرية ، ويقصد الطريقة التي تدار بها السياسة الخارجية المصرية (٤٦) .

وقد تستخدم كلمة (الدبلوماسية) بمعني التعامل مع الآخر بلطف وذوق ولباقة ولياقة ، وحسن مداراة للناس ، ويقال : فلان دبلوماسي ، أي يتصف بما سبق في تعامله مع الآخرين .

والدبلوماسية بمعني إدارة العلاقات الدولية وهي قديمة قدم التاريخ ، مرت بتطورات مختلفة حتى وصلت ما هي الآن عليه ، مما يسمي بالدبلوماسية الدائمة التي ظهرت أولاً في إيطاليا في القرن الخامس عشر الميلادي ، ثم انتشرت بعد ذلك في الدول الأوربية الآخري ، خاصة في القرنين السابع عشر والثامن عشر (٤٧) ، ثم أصبحت عرفاً بين سائر الدول أوربية أو غيرها على ما هي في القرن الحادي والعشرين .

٣- المعاهدة :- إذا كانت المعاهدات الدولية هي أولي وأهم مصادر القانون الدولي المعتمد على قاعدة (العقد شريعة المتعاقدين) هنا ، فإن كل دولة طرف في المعاهدة تصدق على نص المعاهدة المكتوب بإرادتها الحرة واختيارها ، ومن ثم فإن هذا النوع من مصادر القاعدة القانونية الدولية بحاجة إلي بعض تُفَيْصيل – تصغير تفصيل – نبدؤه بسؤال : من يمتلك حق إبرام المعاهدات الدولية ؟

إنها (٤٨) :-

أ. الدول : أي كاملة السيادة .

ب. المنظمات الدولية أو الإقليمية : مثال الأولي الأمم المتحدة ، ومثال الثانية منظمة المؤتمر الإسلامي ، أو جامعة الدول العربية (٤٩) .

٤٦- السابق ، ص ٦.

٤٧- السابق ص ١١.

٤٨- الجو يلي : مرجع سابق ، راجع ص ١٢٩ وما بعدها .

ج. الكيانـات الدوليـة : مثـل مدينـة الفاتيكـان التـي أنشـأتها اتفاقيـة لتـران – عـام ١٩٢٩ – بـين الكنيسة الكاثوليكية وإيطاليا ، حيث أقرت الاتفاقية حق البابا فـي إبرام اتفاقـات مـع أشخاص القانون الدولي فيما يخدم الكنيسـة أو الفاتيكـان(مسـاحتها ٤٤٠٠٠متـر مربـع) فقط ، وهـي مساحة المباني والمكاتب التي تمثل هذا الكيان .

وكذا تتمتع الحكومات المؤقتة ، والحكومـات فـي المنفـي ، وحركـات التحرير الوطنيـة كمـا حدث في (الجزائر – جنوب إفريقية – فلسطين) بحقها في عقد المعاهدات الدولية .

على أية حال فإنه لأهمية المعاهدات الدولية فقد تكفلت اتفاقية فيينا التي وقع عليهـا – عـام ١٩٦٢- ودخلت حيز التنفيذ – ١٩٨٠- النص علـى مـا يخص هذا الموضوع من تفصيل مع ملاحظة أننا انتقلنا من مصطلح (معاهدة) إلي مصطلح (اتفاقيـة) فلـم يُقل (معاهدة فيينـا) بـل قيل (اتفاقية فيينا) ومن ثم نجدنا في حاجة ماسة إلي التفرقة ليس بين المعاهدة والاتفاقيـة ، بـل أيضاً بين ما سبق وبين : (الاتفاق – الملحق – الميثاق أو العهد ... إلخ) مـع محاولـة الاختصـار -:

أ- المعاهدة : - ويغلب عليها الطابع السياسـي ، كمعاهدات التحـالف والصداقة ، مثـل معاهـدة فرساي السابق ذكرها ، ومثل معاهدة كامب ديفيد ١٩٧٩م .

ب- الاتفاقية :- تعالج موضوعات قانونية ، أو تضـع تنظيمـاً قانونيـاً للعلاقـات بين بأطرافها مثل اتفاقيـة فيينـا للعلاقـات الدبلوماسـية ١٩٦١م ، واتفاقيـة جنيـف لقـانون البحـار ١٩٥٨م.

جـ :- الاتفاق :- ليس لـه صفة سياسية ، بل ثقافيـة أو تجاريـة أو ماليـة ، مثل اتفـاق التعريفـات والتجارة الموقع في جنيف ١٩٤٧، والاتفاق الدولي للسكر ، جنيف ١٩٩٧.

٤٩- يلاحظ أن المنظمـة الإقليمية قد توصف بأنها دوليـة ، أو إقليميـة دوليـة ، مثل جامعة الدول العربيـة ، فهـي توصف بأنها إقليمية ، مقتصرة على منطقة معينة محددة هي الوطن العربي ، ولكنها دولية لاشتراك عدد من الدول فيها ، وهكذا نفرق بين بالمنظمة الدولية المفتوحة لكل الدول ، وبين الإقليميـة الدوليـة لاشتراك عدد من الدول بها ، كما ذكر .

ء:- الملحق :- أو (البرتوكول) اتفاق يتضمن تعديلاً لبعض أحكام الاتفاق الأصلي ، أو يتضمن تنظيماً لمسائل تبعية أو متفرعة على ما تضمنه اتفاق سبق إبرامه بين الأطراف ، مثل ملحق جنيف ١٩٨٤ أعلي اتفاقية ١٩٧٩ الخاصة بالتلوث عبر الحدود ، الناجم عن النقل الجوي عبر الحدود .

هـ:- الميثاق أو العهد :- المعاهدات السياسية الكبرى خاصة المنشئة للمنظمات الدولية أو الإقليمية ، مثل ميثاق الأمم المتحدة ، وميثاق جامعة الدول العربية ، وميثاق الاتحاد الإفريقي - منظمة الوحدة الإفريقية سابقاً - وإلي جانب ما سبق هناك (التصريح – تبادل المذكرات – الخطابات المتبادلة – مشارطة التحكيم – الترتيب المؤقت – الاتفاقيات البابوية) وهي نوع من المعاهدات الدولية المكتوبة (٥٠).

والذي يهمنا في كل ما سبق هو لغة التفاوض بين الأطراف ، ثم اللغة التي تكتب بها المعاهدات أو الاتفاقيات ...إلخ ، وهو ما نفصله فيما يلي :-

يقول الدكتور إبراهيم عناني (٥١) : تحديد اللغة التي تستعمل في تحرير المعاهدة يتوقف على لغة الدول الأطراف ، وعلى اللغة الرسمية – أو اللغات الرسمية – للمنظمة الدولية ، إذا كانت هذه الأخيرة طرفاً في المعاهدة أو أبرمت في إطارها ، وبحسب الأصل يتوقف بيان اللغة أو اللغات التي تستعمل في تحرير النص على اتفاق الأطراف في المعاهدة لقد كانت اللغة الغالبة في تحرير المعاهدات حتى القرن الثامن عشر هي اللغة اللاتينية ، ثم بعد ذلك استعملت اللغة الفرنسية إلي أن شاركتها في المكانة – كلغة تحرير للمعاهدات – اللغة الإنجليزية ، أوأخذت مكان الصدارة كلغة دبلوماسية .

وليس لهذا الأمر – أمر اللغة – أهمية إلا بالنسبة للمعاهدات الجماعية ، أما بخصوص المعاهدات الثنائية فإن الوضع يختلف ، فإذا كان طرفا المعاهدة يتكلمان نفس اللغة فلا مشكلة ، إذ يتم تحرير المعاهدة بهذه اللغة ، أما إذا اختلفت لغة الأطراف فإن المعاهدة غالباً ما تحرر

٥٠- السابق

٥١- مرجع سابق ، ص ٥٨٣.

باللغتين ، أو بلغة أخري من اللغات الدبلوماسية التي يتفق عليها الطرفان ، أو تحرر باللغات الثلاث ، مع تحديد أي اللغات تعتبر هي اللغة الرسمية للمعاهدة.

أما الدكتور سعيد جويلي [٥٢] فيقول : إن هناك عدة خيارات أمام الأطراف لاختيار لغة النص – نص المعاهدة – على النحو التالي :-

المعاهدات الثنائية :- يوجد خياران ، الأول أن يتم بلغة واحدة ، وذلك في الحالات الآتية :-

أ- إذا كانت اللغة الرسمية لكل الأطراف واحدة ، كما في حالة الدول العربية .

ب- إذا لجأ الطرفان إلي لغة أخري ، ولم يستخدما لغتيهما الرسمية .

جـ - إذا لجأ الطرفان إلي لغة أحدهما لاعتبارات سياسية .

والخيار الثاني : أن يتم تحرير النص بعدة لغات بأن :-

أ- تحرر المعاهدة باللغة الرسمية لكل طرف ، مع تحديد اللغة الرسمية للمعاهدة وذلك من بين اللغات الرسمية لأطراف المعاهدة .

ب- تحرر باللغة الرسمية لكل طرف ، إضافة إلي لغة أخري ثالثة من غير لغتي طرفي المعاهدة ، لتكون اللغة الرسمية للمعاهدة .

وفي المعاهدات متعددة الأطرف يمكن لأطراف المعاهدة ما يلي :-

أ- يحرر النص بالإنجليزية أو الفرنسية .

ب- أو بأحدي اللغات الرسمية في الأمم المتحدة .

جـ - أو بلغات الأطراف مع اختيار إحدى اللغات الرسمية للأمم المتحدة كلغة رسمية للمعاهدة .

وترتبط مسألة صياغة النص بعملية تفسيره ، فإن تعدد اللغات يؤدي إلي صعوبات متنوعة أمام التفسير الصحيح للنص ، ولذ ا تلجأ الدول المتعاهدة إلي عدة أساليب للحد من الصعوبات والمشكلات التي يمكن أن تترتب على استعمال أكثر من لغة ، منها ما قامت به اللجنة

٥٢- مرجع سابق ، ص ١٧٨وبعدها.

الفرعية للتعاون القانوني ومجلس أوربة في القرار ١٦٥٩٤ باتخاذ إجراءات وقائية وأخري علاجية ، فمن الأولي :

١- ترجمة النص .

٢- النص على قواعد التفسير داخل المعاهدة .

٣- التعريف بالمصطلحات الرئيسة المستخدمة في المعاهدة .

٤- نشر تقرير يكشف ويفسر مواقف الأطراف حال صياغتهم نص المعاهدة.

ومن الإجراءات العلاجية : إنشاء جهاز دولي للرقابة على تطبيق المعاهدات ، على غرار ما يتم في منظمة العمل الدولية يتولى نشر القرارات الرئيسة المتعلقة بتطبيق المعاهدة بصفة دورية بناء على تفسير الدول الأطراف .

وبطبيعة الحال ما قيل عن المعاهدة ينطبق على الاتفاقية والاتفاق والملحق والميثاق ... الخ ، وذلك بخصوص اللغة أو اللغات التي تكتب بها هاتيك الأشياء ، أو المفاوضات التي تتم بين الأطراف .

فمتي يمكن أن تكون المفاوضات أو تكتب المعاهدات والاتفاقيات ...الخ باللغة العربية ؟ إن هذا ممكن في الحالات الآتية :-

١- أن تكون المعاهدة بين دولتين عربيتين أو أكثر ، هذه الدول العربية عددها الآن – كما سبق – ٢٢ دولة ، عضو في جامعة الدول العربية ، هذا العدد يمثل على الأقل ١٢% من عدد دول العالم ، فضلاً عن الثقل السكاني واتساع مساحة الوطن العربي بموقعة الفريد الذي يتوسط العالم .

٢- إذا كانت المعاهدة بين دولة عربية أو أكثر وبين دول أخري غير عربية .

٣- أو أن تعقد المعاهدة في إطار منظمة دولية أو إقليمية – فيها العربية لغة رسمية- مثل جامعة الدول العربية ، ومنظمة المؤتمر الإسلامي .

فما هي هاتيك المنظمات الدولية أو الإقليمية التـي جعلت اللغـة العربيـة لغة رسمية فيها ، سـواء وحـدها ، أو مـع لغـات أخريـات ؟ إن هـذي المنظمـات عديـدة علـى رأسـها الأمـم المتحـدة كمنظمـة دوليـة ، وجامعـة الـدول العربيـة كمنظمـة إقليميـة ، وسـنبدأ بـالأولي ونخـتم بالثانيـة ، محاولين إعطاء كليمة تعريفية بكل منظمة من هاتيك المنظمات :-

أولا- الأمم المتحدة : إذا كان مؤتمر فرساي قد شهد ميلاد مـا يسمي بعصبة الأمم ، فـإن الحـرب العالمية الثانية كانت مقبرة هذه العصبة التي ورثتهـا (الأمـم المتحـدة) بكـل أجهزتهـا وتوابعهـا ، هذه الأخيرة قد ورثت الأولي ، وحلت مكانها .

لقد شكلت لجنة لوضع مشروع العصبة ، وقد أخذت اللجنة بالمشروع البريطاني والـذي تـم إقراره بمـؤتمر فرسـاي فـي ١٩١٩/٤/٢٨ ، وأصبح عهد العصبة جزءاً من معاهدات الصلـح ، وصدقت عليه كل الدول الكبرى فيما عدا الولايات المتحدة ، لكن العهد دخل حيز التنفيذ الفعلي عام ١٩٢٠.

ويمكن القول بأن عصبة الأمـم كانـت ذات طـابع أوربـي واضـح ، فلـم تنضـم إليهـا الولايـات المتحـدة كمـا فصـل الاتحـاد السـوفيتي ١٩٣٩ بسـبب هجومـه علـى فلنـدا ، كمـا انسـحبت اليابـان ١٩٣٥ ، ولكـن انـدلاع الحـرب العالميـة الثانيـة ١٩٣٩ قد أطلـق علـى العصبة رصاصـة الرحمـة فتوقفت عن العمل بالفعل ١٩٤٠ ، وانتهت حياتهـا بصدور قـرار مـن جمعيتهـا بحلهـا ، علـى أن تؤول ممتلكاتها وأموالها إلي وريثتها الأمم المتحدة ، واستمرت عملية تصفية أوضـاعها الماليـة حتى ١٩٤٧/٧/٣١.

لقد كانت أحلام الناس في مؤتمر الصلح قصوراً من الرمال ، أو قل من هـواء خـواء وكـأن القائد العسكري الفرنسي فرديناد فوش (١٨٥١-١٩٢٩) لـم يـك عبقريـاً وفارسـاً لمـع نجمـه فـي الحرب العالمية الأولي فقط ، بل كان أشد عبقريـة فـي تعليقـه ١٩١٩ علـى معاهدات السـلام فـي فرسـاي بقولـه :" إن هذا ليس سلاماً ، وإنمـا هـو هدنـة لمـدة عشـرين سـنة [٥٣] " ولقـد صـدقت يـا

٥٣- في الحديث عن عصبة الأمم راجع ، مصطفي ، د.مني : المنظمات الدولية الحكومية العالمية والنظام الدولي الجديد ، القاهرة ١٩٩٤، ص ١٣٩-١٤٨.

فوش ، فكانت هدنة عقدين بعدها أطلت الحرب العالمية الثانية على البشرية بكل مآسيها وبشاعاتها .

فكيف نشأت الأمم المتحدة ؟ ولدت الأمم المتحدة بعد مخاض من التصريحات والمقترحات منها : (تصريح الأطلنطي ١٩٤١- تصريح الأمم المتحدة ١٩٤٢-تصريح موسكو ١٩٤٣- مقترحات دمبارتون أوكس ....) وفي مؤتمر سان فرانسيسكو ١٩٤٥ اجتمعت الدول التي أعلنت الحرب على ألمانيا واليابان ووضعت مشروع ميثاق الأمم المتحدة دون أن تشارك الدول الصغرى فيه ، كما لم يتمكن فيما بعد من إدخال أية تعديلات رئيسة في هذا الميثاق ، وفي ١٩٤٥/٦/٢٦ وافق المؤتمر المذكور على ميثاق الأمم المتحدة الذي دخل حيز التنفيذ ١٩٤٥/١٠/٢٤، وبذا ولدت الأمم المتحدة (٥٤) .

وإذا كان عام ١٩٤٥ هو عام ميلاد المنظمة الدولية الأكبر في العالم ، فإن هذه المنظمة قد أصبحت اللاعب الرئيس على ساحة السياسة الدولية ، والجهاز الأضخم الذي يدير العالم بمؤسساته المختلفة ، يمارس دوره في التأثير في مجريات الأمور ، داخل الأمم المتحدة وخارجها ، ولكن أكبر خطر يهدد الأمم المتحدة في تاريخها هو محاولة القوي الكبرى فرض الوصاية والهيمنة على العالم ، إما من خلالها – إن سمعت المنظمة وأطاعت – أو تجاوزها وتتجاهلها إن لم تستجب المنظمة لرغبات هذه القوي الكبرى .

ولقد سبق القول بأن اللغات الرسمية في الأمم المتحدة ست لغات ، منها العربية فمتي كان ذلك ؟ في الدورة الثامنة والعشرين لهيئة الأمم المتحدة عام ١٩٧٣وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة بالإجماع على اقتراح أن تكون العربية لغة رسمية ، ولغة عمل في الجمعية العامة ولجانها الرئيسة ، وذلك ابتداء من أول يناير ١٩٧٤، وبذا صارت اللغة العربية لغة عالمية

٥٤- راتب ، د. عائشة : مرجع سابق ، انظر ص ٩٦.

رسمية إلي جانب اللغات الأخرى المعتمدة في هيئة الأمم (الإنجليزية – الفرنسية – الأسبانية – الروسية – الصينية [٥٥]) .

مع ملاحظة أن محكمة العدل الدولية والتابعة لمنظمة الأمم المتحدة تستخدم لغتين هما الفرنسية والإنجليزية ، وقد حررت فتوى المحكمة المذكورة بشأن الجدار العازل في الأرض الفلسطينية المحتلة- ٩يوليو ٢٠٠٤- بالفرنسية و الإنجليزية " مع اعتبار النص الفرنسي ذا الحجية " ثم صدرت ترجمة عن الأمم المتحدة باللغة العربية باعتبارها لغة رسمية في هذه المنظمة ، وقد نشرت الفتوى في مجلة شئون عربية الصادرة عن جامعة الدول العربية بالقاهرة ٢٠٠٤ (العدد ١١٩).

على أية حال فقد اتسعت دائرة العمل بالأمم المتحدة بأجهزتها المختلفة التي امتدت من جينيف ولاهاي وباريس في القارة الأوربية إلي نيويورك على الساحل الشرقي للولايات المتحدة الأمريكية ، ولن يتسع المقام للحديث عن هذه الأجهزة العديدة أو الإشارة إليها ، فلهذا مكانه من المراجع المتخصصة في القانون الدولي ، ولكن سأخص منظمة : (اليونسكو) على وجه الخصوص بكليمات ، وذلك لدورها الثقافي الوثيق الارتباط بقضية اللغة ، فنقول :-

نادت فرنسا في مؤتمر سان فرانسيسكو بإنشاء هيئة ثقافية تابعة للأمم المتحدة ونتج عن هذا تقديم وزراء تعليم دول الحلفاء (بريطانيا – فرنسا – الولايات المتحدة) مشروع ميثاق لإنشاء هذه المنظمة ، نوقش في مؤتمر لندن – ١٩٤٥- بجانب المقترحات التي قدمتها الحكومة الفرنسية ، وقد وافق المؤتمر على ميثاق منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم الثقافية (اليونسكو) وقد تم الربط بين المنظمة وبين الأمم المتحدة باتفاقية أقرها المؤتمر العام – ١٩٤٦- وافقت عليها الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٩٤٦/١٢/٤[٥٦] .

٥٥- ابن الحاج ، د. محمد مصطفي : عالمية اللغة العربية اللغة العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٩٦، ص ١٦٦،١٦٥.
٥٦- راتب : مرجع سابق ، ص ٤٩٤.

اليونسكو لها مركز للمطبوعات في الحاضرة المصرية في قلب العالم العربي يتحف القراء العرب بعديد من الكتب والمطبوعات والدوريات باللغة العربية من تلك الدوريات :
(المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية – مستقبليات – ديوجين – رسالة اليونسكو ...) الخ وفي كثير من هذه الدوريات والمطبوعات معلومات ثمينة في علم اللغة ، وحول اللغة العربية ، بل خصصت رسالة اليونسكو بعض أعدادها للحديث تحت عنوان : (اللغات هل تتصارع أم تتعايش – عوالم من خلال الكلمات – قصة الأعداد – ألسنة ولغات ...) وهي بالغة الأهمية للمتخصص في اللغة العربية ، وفي علم اللغة على وجه الخصوص .

رسالة اليونسكو على سبيل المثال كانت تصدر منذ ١٩٤٨، وفي عدد ديسمبر ٢٠٠٠[٥٧] ، أي في سنتها الرابعة والخمسين ذكر أن هذه الرسالة تصدر شهرياً في ٢٨ لغة ، إضافة إلي طريقة برايل للمكفوفين ، تصدر بثلاث لغات من مقر المنظمة في باريس هذي اللغات هي الفرنسية والأسبانية والإنجليزية ، أما الطبعات الأخرى فتصدر خارج المقر بهذه اللغات (العربية من القاهرة – الروسية من موسكو – الألمانية من بون – الإيطالية من فلورنسا – الهندية من دلهي – التاميلية من مدراس – الفارسية من طهران – البرتغالية من ريودي جانيرو – الأوردية من إسلام أباد – القطالونية من برشلونة – الماليزية من كوالامبور – السواحيلية من دار السلام – الصينية من بكين – السلوفينية من لوبليانا - البلغارية من صوفيا – اليونانية من أثينا – السنهالية من كولومبو - الباسكية من دونوستيا – التايلاندية من بانكوك- الفيتنامية من هانوي – البنغالية من دكا – الأكرانية من كييف – الصربية من بلجراد – الغالية من سينتياجو ديكومبوستلا - السردينية من نورو) = ٢٥ لغة من ٢٥ مدينة مختلفة على مستوي العالم .

ويلاحظ أن في هذه الطبعات خارج المقر ثلاث منها بلغات رسمية في الأمم المتحدة هي : (العربية – الصينية – الروسية) إضافة إلي طبعات المقر باللغات الثلاث (الفرنسية – الأسبانية

٥٧- ص ٢، ٣ .

– الإنجليزية) فهذي هي اللغات الرسمية في المنظمة الدولية ، أما باقي اللغات التي صدرت بها الرسالة خارج المقر وعددها ثنتان وعشرون لغة ، فهي وإن لم تك لغات رسمية في اليونسكو إلا أنه يبدو أن لها من القراء ما يجعل المنظمة تهتم بها وتصدر بها هذه المطبوعة .

كما جاء في العدد المذكور:" تقرر تعليق نشر رسالة اليونسكو بشكلها الحالي (٥٨) بنهاية العام وسوف يحل محلها رسالة جديدة ، تصدر مرتين في السنة ، في مايو وأكتوبر باللغات الرسمية الست للأمم المتحدة ، وسوف توزع مجاناً" وبطبيعة الحال ستصدر بلغتنا لأنها إحدى اللغات الرسمية في المنظمة الدولية، فإذا كانت توقفت عن الصدور باللغات الأخرى الاثنتين والعشرين التي كانت تصدر بها ، خاصة خارج المقر ، فإنها لن تتوقف عن إصدار الطبقة العربية في شكلها الجديد .

ثانياً- الاتحاد الإفريقي : جاء مؤتمر القمة الإفريقي في أديس أبابا في مايو ١٩٦٣صورة عملية لمحاولة توحيد جهود القارة الإفريقية بأكملها في صورة (منظمة الوحدة الإفريقية) وأوصي مجلس الوزراء في المنظمة الوليدة في دورته العادية في داكار حاضرة السنغال – ١٩٦٣/٨/٥- بإذابة التكتلات الإقليمية في إطار منظمة الوحدة الإفريقية وأن يقتصر دور التنظيمات الإقليمية داخل القارة الإفريقية على مجرد التعاون الفني والثقافي (٥٩) .

وقد أودعت المستندات الأصلية لميثاق المنظمة وهي مستندات ذات صبغة رسمية – لدي دولة المقر ، وهي إثيوبيا ، والتي قامت بإرسال نسخ معتمدة منها إلي جميع الدول الإفريقية ، كما أودعت مستندات تصديق الدول على الميثاق لدي الحكومة الإثيوبية التي أخطرت بهذا جميع الدول الموقعة على الميثاق (٦٠) .

ولكن دول المنظمة رأت أن تغير اسم المنظمة إلي (الاتحاد الإفريقي) فكيف كان ذلك ؟ بعد سنتين من مؤتمر سرت بليبيا – ١٩٩٩- حيث تم التوقيع على القانون التأسيسي للاتحاد

٥٨- والذي صدر منه ٦٠٩أعداد .
٥٩- راتب ، د. عائشة : مرجع سابق ، ص ٣٨٥.
٦٠- السابق ، ص ٣٨٩.

الإفريقي ، صادق مؤتمر القمة الإفريقي في دورته الثامنة والثلاثين على إنشاء هذا الاتحاد بديلاً عن منظمة الوحدة الأفريقية ، وكانت مدينة ديربان في جنوب إفريقية مقر انعقاد أول قمة لهذا المولود الجديد ٨-١٠-٢٠٠٢ (٦١).

وهكذا حل الاتحاد الإفريقي محل منظمة الوحدة الإفريقية بعد تسعة وثلاثين عاماً من تأسيسها بأديس أبابا ١٩٦٣/٥/٢٥ ، ومنذ عام ١٩٩٩ومؤتمرات القمة الإفريقية تتناول فكرة هذا الاتحاد وتحاول أن تضع أسسه ، ويتكون الوليد الجديد من سبعة عشر جهازا منها : مؤتمرات الاتحاد – المجلس التنفيذي لوزراء الخارجية – لجنة الممثلين الدائمين للسفراء في دولة المقر – اللجان الفنية المتخصصة – برلمان عموم إفريقية – أمانة الاتحاد – محكمة العدل – البنك المركزي الإفريقي –المجلس الاقتصادي والاجتماعي والثقافي (٦٢).

أما عن اللغات الرسمية في الاتحاد فإننا نعود مرة أخري إلي ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية لننقل ما جاء تحت عنوان ، لغة الميثاق :" اللغات الدائمة للمنظمة وجميع أجهزتها هي اللغات الإفريقية والإنجليزية والفرنسية " وكانت إضافة اللغات الإفريقية نتيجة للاقتراح المصري باستخدام اللغتين الإفريقيتين (العربية والأمهرية) كلغات رسمية في المنظمة (٦٣) أما الأمهرية فإنها لغة دولة المقر ، وأما العربية فإنها لغة ثماني دول إفريقية (مصر – السودان – جيبوتي – ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب – موريتانيا) فهل من صلة بين اللغتين ؟ أو قل بين الشعبين العربي والإثيوبي ؟ صلات وثيقة قوية تضرب في أعماق التاريخ ، كيف ؟

١- لقد انطلقت الهجرة العربية الأولي من جنوب بلاد العرب من اليمن السعيد إلي الجهة الغربية الأخرى من اليابسة عبر باب المندب - والذي لا يزيد اتساعه الآن عن ٢٦كم - هؤلاء العرب المهاجرون الذين عرفوا باسم الجِعِزّ ، وإليه نسبت لغتهم - أو قل لهجتهم العربية القديمة التي جاءوا بها من اليمن – وقد تحولت تلك اللهجة إلي لغة مستقلة بفعل احتكاكها باللغات

61- www.aljazeera.net.

٦٢- السابق .

٦٣- راتب ، د. عائشة : مرجع سابق ، ص ٣٩٨.

الإفريقية المحلية [٦٤] ويرجح أن الهجرات العربية الأولي إلي الحبشة كانت قبل ميلاد المسيح بوقت طويل [٦٥].

ويظهر أن هؤلاء اليمنيين النازحين إلي هذا البلد لم يحملوا معهم لغتهم فقط ، بل حملوا معهم في البداية الرسم السبئى القديم الذي كان يستخدم في مسقط رءوسهم في اليمن ثم اشتق من هذا الرسم رسم خاص أطلق عليه الرسم الحبشي ، أو الجعزي ، ومن الراجح أن هذا الرسم الأخير ظهر في القرن الثالث الميلادي ، وإن كان لم يمح الرسم السبئي القديم محوا تاماً ، بل ظلا يستخدمان معاً مدة طويلة [٦٦] ويتفق الرسمان كلاهما – السبئي والجعزي – في تجردهما من الرمز إلي الحركات ، خاصة القصيرة ، فضلاً عن إدخالها في صلب الخط ، كما تفعل الأبجدية اللاتينية ، فكان الرسم الحبشي كسابقه الذي اشتق منه يشتمل على ٢٦حرفاً ، تركز جميعها علي الصوامت فقط .

٢- ولكن اللغة الجعزية لم تعمر طويلاً ، فما إن حل القرن الثاني عشر الميلادي حتى دبت الفتن السياسية بين الشعب الجعزي ، وتفرقت لغته إلي لهجات ، أبرزها لهجة أمهرا وهي لهجة يغلب عليها العنصر الإفريقي الحامي ، وفي سنة ١٢٧٠م تقوضت مملكة أكسوم الجعزية ، وقبض على زمام الحكم أسرة أمهرية من جنوب غرب البلاد ، ومن ثم أخذ نطاق هذه اللغة الجديدة يتسع شيئاً فشيئاً حتى أصبحت اللغة السائدة في بلاد إثيوبيا كلها .

وما سبق هو من أثر السياسة في اللغة ، أو تأثر اللغة بالسياسة ونظام الحكم ، فقد ارتفعت أسهم الجعزية بارتفاع نجم أهليها ، كما تراجع نفوذ هذي اللغة بتراجع نفوذ أهلها وجاء مكانها الأمهرية – وإن كانت إحدي لهجاتها – بعد استيلاء الأمهريين على زمام الحكم في أكسوم.

٦٤- وهكذا تتحول اللهجة إلي لغة مستقلة .
٦٥- عبد التواب رمضان : فصول في فقه اللغة ، القاهرة ١٩٨٣، ص ٣٤.
٦٦- وافي ، د. على عبد الواحد : فقه اللغة ، القاهرة ١٩٦٨، ص ٨٨.

وحمل هذا التغير السياسي اللغوي تغيراً في الكتابة أيضاً فزيد على الحروف الجعزية القديمة سبعة أحرف ليرمز بها إلي هاتيك الأصوات التي تمتاز بها اللغة الأمهرية ، ولا نظير لها في الجعزية الأم .

ولم يقتصر الأمر على هذا ، بل ظهرت بعد ذلك علامات ترمز إلي الحركات ، وأخذ عدد هذه العلامات يزيد شيئاً فشيئاً حتى بلغت ٦ علامات ، ترمز إلي ٦ حركات ، يضاف إليها حرف سابع للصامت الساكن ، غير المتلو بحركة ، وقد أخذت أهمية هذه العلامات تزيد شيئاً فشيئاً حتى أصبحت عناصر أساسية في رسم الكلمات الأمهرية ، كما هو الشأن في الرسم اللاتيني ، غير أنها ليست ممثلة في حروف مستقلة ، كما في اللاتيني ، ولا هي علامات توضع فوق الحروف أو تحتها ، كما في الرسم العربي ، بل تتمثل في تغيير يلحق صورة الحروف نفسها ، فشكل الحرف نفسه هو الذي يتغير تبعاً للحركة التي تلحق ، وبذا أصبح لكل حرف سبعة أشكال متميزة ، يرمز كل منها إلي الصامت والحركة التي تليه فصارت الحروف قريبة مائتين (٦٧) .

والرسم الحبشي القديم كان يكتب من اليمين إلي اليسار مثل الرسم السبئي الذي اشتق منه ثم صار الرسم الأمهري إلي العكس ، من اليسار إلي اليمين حتى الوقت الراهن (٦٨) .

وللحبشة اسم آخر هو (إثيوبيا Ethiopia) وهي تسمية يونانية قديمة ، أطلقها اليونانيون القدماء على المنطقة الممتدة من البحر الأحمر غرباً ومصر جنوباً ، ويفضل المسيحيون الأحباش هذه التسمية اليونانية (٦٩) .

صفوة القول أن الأمهرية كانت في الأصل إحدى اللهجات الجعزية ، ثم أصبحت لغة مستقلة عن الجعزية الأم ، وهذي الأخيرة كانت إحدى اللهجات اليمينية القديمة ، ولكنها تحولت إلي لغة مستقلة عن أصلها العربي بفعل دخول عناصر لغوية إفريقية محلية إليها وقد أصبحت الأمهرية اللغة الرسمية للبلاد منذ القرن الثالث عشر الميلادي (٧٠) .

٦٧- انظر صورة لهذه الحروف في : حسن ، د. محمد خليفة وآخرين – القاهرة ٢٠٠٤ ، ص ١٠٩.
٦٨- وافي : رجع سابق .
٦٩- حسن ، د. محمد خليفة وآخران : مرجع سابق ، ص١٠٤.
٧٠- وافي ، مرجع سابق .

ومن ناحية أخري فإن الانتقال عبر باب المندب أو عبر البحر الأحمر ، أو خليج عدن لم يك ذا اتجاه واحد ، بل استمر من كلا الاتجاهين حتى الآن ، وهذان مثالان من التاريخ:

١- لقد غزا الأحباش اليمن ، بل وحاولوا هدم الكعبة بقيادة أبرهة ، تلك الواقعة التي خلدها القرآن الكريم في سورة الفيل ، وبقي الأحباش في اليمن العربي حتى أخرجهم الفرس بالتعاون مع أهل الأرض المحتلة ، بعد أن بقي الأحباش هنالك اثنين وسبعون عاماً [٧١].

٢- وعندما اشتد أذي المشركين في مكة بمن أسلم ، قال لهم – صلي الله عليه وسلم :" لو خرجتم إلي أرض الحبشة ، فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق " وعندما هاجر المسلمون إلي هنالك أرسلت قريش إلي النجاشي مبعوثين هما عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص ، وجمعت لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته وحاشيته [٧٢] ، كل هذا يدل على معرفة العرب الواضحة ببلاد الحبشة .

بل للحبشة الشرف الكبير في أن مؤذن خاتم الرسل – عليه الصلاة والسلام – كان بلالاً الحبشي ، كما كان من هذا الشرف صفة خاتمه – صلي الله عليه وسلم – بأن فيه فصاً حبشياً ، وقد ذكر أن هذا الفص من :" حجر كريم يوجد في اليمن والحبشة " [٧٣] هكذا ارتبطا كلا الشعبين حتى في أحجارهما الكريمة ومعادنهما وأرضهما .

على أية حال فإن ما سبق حول علاقة العربية بالأمهرية يشير إلي وجه مهم للغة العرب ، إنه الوجه العالمي الخصب ، إن العربية لم تلد الجعزية والأمهرية فقط ، بل ولدت لغات أخري أوربية ، منها اللغة المالطية ، فهي الأخرى كانت إحدى اللهجات العربية التي انتقلت إلي هذه الجزيرة في البحر المتوسط ، القريبة جداً من شرق قرطاجنة القديمة في تونس ، ولكن هذي

٧١- انظر تفصيل ما سبق في سيرة ابن هشام ٢٢/١.
٧٢- السابق ٣٣٣/١.
٧٣- المعجم الكبير : ٣٥/٥.

اللهجة تحولت إلي لغة لانعزالها عن الوطن العربي الأم ، ودخول كلمات إيطالية وإنجليزية إليها ، ثم كتابتها بالحروف اللاتينية (٧٤) .

ومن ناحية أخري فإن علاقة الشعبين العربي والإثيوبي هي نموذج لعبقرية العرب في الاتصال بالآخر ، ومهارة إدارة العلاقة مع هذا الآخر ، ليس الاعتراف به فقط ، أو محاورته ، بل التمازج والتزاوج حتى الذوبان والانصهار ، وحين جاء الإسلام لم يك بين العرب الذين حملوا الإسلام إلي الشعوب الأخرى إلا الدخول في هذا الدين ، فإن دخلوا فيه فلا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى .

وكذا أرسي نبينا – صلي الله عليه وسلم – مبدأ مهماً هو أن العروبة هي عروبة اللسان لا عروبة عنصر أو دم أو مكان :" وإن العربية ليست لأحدكم بأب ولا أم ، إنما هي لسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربي (٧٥) ".

إن الغرب وباحثيه يعجبون كيف أثرت العربية بهذه الصورة في اللغات الأخرى ، ولم تؤثر اللغات الأوربية الاستعمارية بهذه الصورة ، مع أن هاتيك الأخيرة بقيت مدة أطول في مستعمراتها ، سواء في إفريقية أو أسيا ، فهذي اللغة الهولندية بقيت مع الهولنديين أربعمائة سنة في اندونيسيا ، ولكن هذه اللغة لم تؤثر في لغة البلاد (الاندونيسية) كما أثرت العربية .

ولم تؤثر العربية في الاندونيسية فقط ، بل أثرت في الكلمات الأجنبية التي أعيرت إلي اللغة الاندونيسية ، بما في هذا الكلمات المستعارة من الهولندية ذاتها ، وعندما أصدرت اندونيسيا قانوناً يوجب كتابة الكلمات المستعارة من اللغات الأخرى طبقاً لنظام اللغة الاندونيسية طبقت هذا على اللغات كلها ، واستثني القانون الكلمات المستعارة من اللسان العربي – ذات القيمة الدينية - التي تبقي كما كانت في اللغة العربية (٧٦) .

٧٤- برج ، آلبرت ، ومانويل مفسود : العربية في مالطة ، ترجمة د. أحمد أبو الخير ،وآخرين ، القاهرة ٢٠٠٤، ص ١٠.

٧٥- ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم ، القاهرة ١٩٨٣، ص ١٥٢.

٧٦- مولمان ، يوهان : اللغة العربية في اندونيسيا ، ترجمة د. أحمد أبو الخير ، د. أحمد فريد ، القاهرة ٢٠٠٢، ص ٦٥

إذن فإن انتشار العربية بهذه الصورة وتأثيرها الواضح الكبير في اللغات الأخرى يمكن إرجاعه – في رأينا – إلي ما يلي :-

١- عبقرية العرب في الاختلاط بالآخر والتمازج معه ، بل والذوبان فيه أحياناً ، ولو لم يكن العرب كذلك ما نالوا الرسالة الخاتمة ، فكان منهم الرسول الخاتم مع مائة ألف أو يزيدون من صحبه ، وكان نصيب الأمم الأخرى ثلاثة فقط صهيب الرومي يمثل الروم ، أو قل أوربة ، سلمان الفارسي عن الفرس أو عن آسيا ، بلال عن الأحباش ، أو عن إفريقية السوداء .

٢- إن العناية الإلهية لما اختارت العربية لآخر الكتب السماوية ، وهو القرآن الكريم لابد أعدتها وعلى عينها ، ولذا يقول المستشرق الهولندي يوهان [٧٧] مولمان :" إن كثيرا من الاندونيسيين يجلون اللغة العربية ، ليس لأنهم يعتبرونها قاطرة العلم والمعرفة الدينية فقط ، ولكن أيضاً بسبب الجمال المتأصل في اللغة العربية " لغة هي بالنسبة للمسلمين قاطرة القيم والمعرفة في دينهم ، لغة تجد الجمال متأصلاً فيها ، ألا تتمكن محبتها في القلوب وتؤثر في غيرها من اللغات .

٣- إن اللغة العربية ليست لغة نخبة ، ولا عنصر ، تفرض على الناس من علٍ وإنما هي لغة تتسع لعامة الناس وخاصتهم ، ومن ثم يقبل غير أبنائها على تعلمها وإتقانها [٧٨] .

ثالثاً- منظمة المؤتمر الإسلامي : نشأت فكرة المنظمة كرد فعل على الاعتداءات الصهيونية ، وحريق المسجد الأقصى في أغسطس ١٩٦٩ ، فعقدت أول قمة إسلامية في الرباط ١٩٦٩/٩/٢٥ ، حيث تقرر تأسيس منظمة المؤتمر الإسلامي ، واختيار جدة مقراً لها حتى يتم تحرير القدس لتكون المقر الدائم لها .

٧٧- السابق ، ص ٦٦.

٧٨- أبو الخير ، د. أحمد مصطفي : المتحدثون الأجانب – غير العرب – بالعربية في فضائية الجزيرة مرجع سابق ، ص ٨.

وقد تم إقرار ميثاق المنظمة في مؤتمر وزراء الخارجية الثالث الذي انعقد في جدة ١٩٧٢ ، وتضم المنظمة في عضويتها ٥٧ دولة إسلامية حتى الآن ، وهي منظمة دولية لاشتراك عدد كبير من الدول بها ، كما توصف أيضاً بأنها إقليمية ، لأنها ليست مفتوحة لكل دول العالم ، بل مقتصرة على نوعية خاصة من الدول ، هي الإسلامية فقط .

وتتمتع المنظمة بالشخصية القانونية الدولية ، وبحق إبرام المعاهدات ، وبالحصانات والامتيازات الكاملة لدي الدول الأعضاء ، وأهدافها : " تحرير القدس واستعادة الحقوق الإسلامية تحقيق التضامن والتعاون والتنسيق بين الدول الأعضاء ، وصيانة استقلالها ودعم كفاح الشعوب الإسلامية ومناهضة العنصرية والاستعمار ، والسعي لدعم السلام العالمي ".

أما مبادؤها فهي " احترام المساواة بين الدول الأعضاء – احترام سيادة كل دولة واستقلالها وسلامة أراضيها – تسوية المنازعات بين الدول الأعضاء بالطرق السلمية كالمفاوضات والوساطة والمصالحة والتحكيم – عدم اللجوء إلى القوة أو التهديد باستخدامها ضد وحدة أراضي الدول التابعة لها ، أو سلامتها أو استقلالها السياسي " .

الهيكل التنظيمي للمنظمة : لمنظمة المؤتمر الإسلامي أربعة أجهزة رئيسة ، فضلا عن بعض المنظمات والمؤسسات المنبثقة ، فالأجهزة الرئيسة : "مؤتمر القمة – المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية – محكمة العدل الإسلامية والدولية " .

وتتبع الأمانة العامة في جدة مراكز بحوث ومؤسسات، أهمها : مركز اسطنبول للتاريخ والحضارة الإسلامية – المؤسسة الإسلامية والتنمية بجدة – صندوق القدس " فضلا عن بعض الأجهزة المتفرعة والمتخصصة ، مثل : " المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الايسسكو) بالرباط – الاتحاد العالمي للمدارس العربية الإسلامية الدولية بالرياض – المركز الإسلامي للاتصالات بجدة ".

كما تأسست جامعات مستقلة تحت مظلة المؤتمر الإسلامي ، مثل : " الجامعة الإسلامية في النيجر – الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا – الجامعة الإسلامية في بنغلاديش" (٧٩).

وبعد هذي المقدمة عن المؤتمر الإسلامي ما هي اللغات الرسمية في هذي المنظمة ؟ أنها ثلاث لغات (العربية والفرنسية والإنجليزية) فالعربية إذن اللغة الرسمية الأولى في المنظمة ، بحكم أن اثنتين وعشرين دولة هي مجموع دول الجامعة العربية هي أعضاء في المنظمة البالغ عددها سبعا وخمسين دولة ، إضافة إلى أربع دول مراقبة ، هي (قبرص التركية – البوسنة – تايلاند - إفريقية الوسطي) .

ونتحدث عن بعض الهيئات والمراكز العلمية التابعة للمنظمة ، مثل :

١. اتحاد جامعات العالم الإسلامي : هيئة تعمل في إطار المنظمة الإسلامية للتربية (الايسسكو) هذه الهيئة متخصصة في دعم الجامعات ، وما في حكمها من مؤسسات التعليم العالي في العالم الإسلامي ، وتشجيع التعاون والشراكة بينها ، ومقر الاتحاد هو الرباط بالمغرب .

أما عن اللغات الرسمية في هذا الاتحاد فتنص المادة الثالثة من الميثاق على أن : " لغات عمل الاتحاد هي العربية والفرنسية والإنجليزية ، وتعتبر اللغات الثلاث متساوية الحجية " ولا يكتفي الميثاق بهذا ، بل ينص في نفس المادة السابقة على أنه : " في حالة الاختلاف يؤخذ بالتفسير الذي تقره لغتان ، إحداهما العربية ، وإذا لم يتوافر هذا الشرط فان النص الأصلي هو المعتمد " .

وفي المادة الرابعة من الميثاق الذي يحدد أهداف الاتحاد ينص على " تشجيع تدريس اللغة العربية ونشرها في البلاد الإسلامية التي لغتها الرسمية غير العربية " فهذا من الأهداف الرئيسة للاتحاد .

٧٩- استقيت هذه المعلومات من www.ircica.org

٢. مركز أبحاث التاريخ والفنون والثقافة الإسلامية: في اسطنبول في عام ١٩٩٥ وصلتنا في جامعة المنصورة إحدي مطبوعات هذا المركز ، هي (النشرة الإخبارية) باللغة العربية ، وعندها كان لزاما علينا أن نبعث برسالة شكر إلى رئيس التحرير الأستاذ الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي وهو مدير المركز أيضا.

وكان من لطف الرجل أن أرسل لي خطابا باللغة العربية أيضا ، ولكن لغته مكتوبة بعناية شديدة على الحاسوب ، لا يرى أي أثر لملاحظة إملائية أو نحوية أو غيرهما ، فكأن الذي كتبه من العرب الأقحاح الخلّص ، ومن حسن الحظ أني ما زلت أحتفظ بهذا الخطاب الرقيق .

ومن خلال النشرة الإخبارية [٨٠] ومن خلال المراسلات بيني وبين الدكتور أكمل عرفت أن :

١- هذه النشرة الفصلية تصدر باللغات الثلاث الرسمية لمنظمة المؤتمر الإسلامي باعتبار أن المركز هو أحد مؤسسات المنظمة ، واللغات الرسمية في هذا الأخير – كما سلف هي العربية أو الفرنسية والإنجليزية ، إلا أن المركز يصدر نسخة رابعة من النشرة بلغة دولة المقر ، أي اللغة التركية .

٢- إن من أنشطة المركز المذكور إقامة ندوات متخصصة حول التاريخ والفن والثقافة الإسلامية ، فعقد في القاهرة (الندوة الدولية الأولى حول الحِرف اليدوية في العمارة الإسلامية ، مع التركيز على آفاق تنمية المشربيات والزجاج المعشق) ١٩٩٥ .

٣- قام وفد من المركز بزيارة مهمة إلى البوسنة لرعاية التراث الثقافي في هذا البلد والتقى الوفد الرئيس علي عزت بيجوفيتش ، وكبار المسئولين في الدولة وذلك في فبراير ١٩٩٥ .

٨٠- عدد مارس ١٩٩٥ م.

٤- إقامة المعارض الفنية ، ومنها معرض لفن الخط العربي للدكتور صاواش جويك من جامعة المعمار في اسطنبول ، وقد حوى المعرض لوحات مذهبة من الخطوط : الديواني والكوفي ، والثلث .

٥- قدم المركز إصدارات مهمة في مجالات التاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، منها (مصطلحات الفن الإسلامي ، معجم مشروح مصور ، تقديم د. أكمل الدين أوغلي – الجسر القديم في موستار الذي دمرته الحرب ضد البوسنة في ١٩٩٣/١١/٩ – دراسات حول البوسنة إسهامات تاريخية للفترة العثمانية التركية).

وفي أغسطس من هذا العام ظهر مدير المركز في وسائل الأعلام والفضائيات على أنه مرشح للأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي ، وفي اقتراع وزراء خارجية الدول الإسلامية الأخير في اسطنبول فاز الدكتور أكمل الدين – ٦١ سنة – بمنصب الأمين العام للمنظمة ، حيث نال ٣٢ صوتا ، في حين حصل منافساه الماليزي والبنغالي على ١٢ صوتا.

ويبدو أن إجادة المرشح التركي للغة العربية كانت وراء هذه الأغلبية الواضحة التي حصل عليها ، فهو شخصية معروفة في العالم العربي ، صاحب قلم متميز ، ولسان لا أقول هو لسان عربي ، بل لسان مصري كملامحه وأجداده .

وعندما سمعته يتكلم على الفضائيات أحسست أنه لم يتعلم فقط في بلاد العرب ، أو الديار المصرية ، أو عاش فيهما ، بل يحس المرء كأنه واحد منا ، ومن ثم فلا غرابة أن اختاره مجمع الخالدين عضوا فيه ، وإن كان عضوا مراسلا ، لأنه غير مقيم في مصرنا.

وقبل أن نترك الحديث عن منظمة المؤتمر الإسلامي نشير إلى أمرين :

١- إن هذه الجامعات الإسلامية التي نشأت تحت مظلة المؤتمر الإسلامي هي الآن قلاع مهمة من قلاع العربية عبر العالم ، ففي هذه الجامعات مطبوعات ودوريات ونشاطات وأقسام وكليات ومراكز للغة العربية ، مثل حوليات الجامعة الإسلامية في النيجر ، وهي وثائق عربية مهمة ،

وإن كانت تركز على منطقة الغرب الإفريقي في تاريخه وشئونه ولغاته ، ومواقع اللغة العربية فيه .

ويتضح النشاط العربي هذا في الجامعة الإسلامية في ماليزيا [٨١] ، والتي تنص اللائحة الأساسية فيها على أن رئيسها هو وزير التعليم الماليزي ، كما تنص لوائحها على أن يدرس الطالب نصف مقرراته باللغة العربية أيا كان تخصصه ، وقد أسسها مديرها المصري د . محمد عبد الرءوف ، وكان مديرا لها من ١٩٨٣ إلى ١٩٨٩ ، ثم أدارها الدكتور عبد الحميد أبو سليمان إلى ١٩٩٩ ، حيث جاء مدير ماليزي لأول مرة ، د. محمد كمال حسن .

٢- إن على عاتق اتحاد المدارس العربية الإسلامية التابع للمنظمة عبء ثقيل في دعم هذا النوع من المدارس التي هي قائمة في الأساس على الجهد الأهلي التطوعي ، وحبذا لو ينشأ اتحاد آخر لأقسام اللغة العربية في خارج الوطن العربي لدعم هذه الأقسام في أي بلد من بلدان العالم ، فإن هذي الأقسام ، وما في حكمها من المراكز والمعاهد والكليات التي تدرس العربية أو تهتم بها لهي بحاجة ماسة ، ملحة وحيوية ليمد إليها العالم العربي يد المعاونة والمؤازرة ، ولهذا تفصيل في مكان آخر .

رابعا رابطة العالم الإسلامي : هي منظمة إسلامية شعبية عالمية جامعة تقوم بالدعوة إلى الإسلام وشرح مبادئه وتعاليمه .... أنشئت بموجب قرار صدر عن المؤتمر الإسلامي العام الذي انعقد بمكة المكرمة في ٨ مايو ١٩٦٢ ، وتمثل الرابطة في الأمم المتحدة بصفة عضو مراقب بالمجلس الاقتصادي والاجتماعي بين المنظمات الدولية ذات الوضع الاستشاري ، كما أنها عضو في منظمة (اليونسكو) ومنظمة الطفل العالمية (اليونيسيف) وهي أيضا عضو مراقب في منظمة المؤتمر الإسلامي تحضر مؤتمرات القمة ، ووزراء الخارجية وجميع مؤتمرات المنظمة .

٨١- راجع كتابنا : العربية في بلدان غير عربية ، القاهرة ٢٠٠٠ ، ص ٤٠ .

من مؤسسات الرابطة (هيئة الإغاثة العالمية الإسلامية – هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة – المجمع الفقهي – مؤسسة مكة المكرمة الخيرية –الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم ....) .

وتستخدم الرابطة في سبيل تحقيق أهدافها جملة من الوسائل ، منها :

١- دعم النشاط المؤدي إلى نشر اللغة العربية ، ورفع مستوى تعليمها في أوساط الشعوب المسلمة العربية وغير عربية .

٢- إقامة الندوات والدورات التأهيلية والتدريبية والإعلامية .

٣- إنشاء مكاتب ومراكز إسلامية لخدمة الأهداف الإسلامية .

فالرابطة لم تكتف بجعل اللغة العربية لغة رسمية باعتبار أنها لغة دولة المقر (مكة المكرمة) العاصمة المقدسة للملكة العربية السعودية ، بل دعت إلى جعل اللغة العربية لغة أساسية بعد اللغة الوطنية في الدول الإسلامية غير العربية كما أوصى المجلس التأسيسي للرابطة في دورته السابعة والثلاثين بمكة المكرمة – أبريل ٢٠٠٠ – منظمة المؤتمر الإسلامي ببذل الجهد في تنفيذ هذا القرار من خلال برامج التعليم في الدول الإسلامية غير العربية حتى تتلقى الشعوب الإسلامية علوم الإسلام وثقافته من منابعه الأصلية ، وتكون اللغة العربية صلة التواصل والتعارف بينهما .

والحقيقة أن دعم اللغة العربية لا يصح أن يقتصر على الدول الإسلامية فقط ، بل إن هذا يجب أن يمتد إلى الدول الأخرى غير الإسلامية ، خاصة الصديقة منها ، وهو المؤمل من العالم العربي ، من المحيط إلى الخليج .

خامسا – جامعة الدول العربية : وقد رأينا أن تكون مسك الختام في الحديث عن المنظمات الدولية والإقليمية ، فكيف نشأت ؟ ومتى ؟ في سنة ١٩٤٣ دعت مصر لإجراء مشاورات بشأن الوحدة العربية ، ثم إلى لجنة تحضيرية للمؤتمر العربي العام تلك اللجنة التي اجتمعت بالإسكندرية من ٢٥ سبتمبر إلى ٧ أكتوبر ١٩٤٤ ، اشتركت فيها (سوريا – لبنان – شرق الأردن – العراق – السعودية – مصر) وأرسلت اليمن مندوبا مستمعا – مراقبا – وانتهت اللجنة إلى وضع برتوكول الإسكندرية الذي تضمن الخطوط العريضة لجامعة الدول العربية الذي وقع عليه في ٧ أكتوبر ١٩٤٤.

ثم اجتمعت لجنة فرعية تولت وضع مشروع ميثاق الدول العربية ، ورفعه إلى اللجنة التحضيرية التي أقرته بالإجماع في ١٩ مارس ١٩٤٥ ، وبعد ثلاثة أيام وقع ممثلو : (سوريا – لبنان – شرق الأردن – العراق – السعودية – مصر) على الميثاق أما اليمن فقد وقع في صنعاء في ٥ مايو ١٩٤٥ ، وصدقت الدول السبع المذكورة على الميثاق – الذي دخل حيز التنفيذ – بهذا التصديق في ١٠ مايو ١٩٤٥ ، ثم تتابع تصديق باقي الدول العربية على الميثاق ، أو بمعنى آخر الدخول إلى الجامعة العربية حتى اكتمل عددها الآن إلى ٢٢ عضوا .

وتجدر الإشارة إلى انه عندما وافق مجلس الجامعة على ضم الكويت سنة ١٩٦١ اعترض العراق ، وقاطع جلسات المجلس تعبيرا عن احتجاجه ، ولكن أينا لم يك يتخيل أنه سيأتي اليوم الذي تغزو فيه دولة عربية شقيقة لها ، مهما كانت المبررات التي تقدمها هذه الدولة ، ولكن هذا ما كان ١٩٩١ ، ويا هول ما كان !!!.

أما فلسطين فقد قرر مؤتمر وزراء الخارجية العرب في سبتمبر ١٩٧٦ بناء على اقتراح مصري قبول منظمة التحرير الفلسطينية عضوا كامل العضوية في الجامعة

وعند قيام السلطة الفلسطينية في قطاع غزة ورام الله ١٩٩٣ ، استمرت هذه السلطة في عضويتها وممارسة هذه العضوية بشكل كامل [٨٢].

٨٢- راتب : مرجع سابق ،ص ٢٨٢ وما بعدها .

ويشترط في الدول التي ترغب في الانضمام إلى جامعة الدول العربية :

١. **أن تكون دولة عربية ، أو قل ناطقة باللغة العربية .**

٢. **أن تكون دولـة مستقلة ، غير محتلـة عسكريا علـى الأقل ، ولكن فلسطين جاءت استثناء لهذا ، ثم كانت العراق إعادة لهذا الاستثناء منذ عام ٢٠٠٣ م .**

٣. **أن يوافق مجلس الجامعة على قبولها ، هذا المجلس هو الذي يتولى تقدير توافر هذه الشروط في الدولة التي تطلب الانضمام [٨٣].**

٤. **من أجهزة الجامعة ومؤسساتها : (مؤتمرات القمة العربية – مؤتمرات وزراء الخارجية – مجلس الجامعة المكون من مندوبي الدول العربية إلى الجامعة – الأمانة العامة بالقاهرة – معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة) إضافة إلى بعض اللجان الفنية والإدارات التابعة للأمانة العامة بالقاهرة .**

ولم تكتف الجامعة العربية بعملها السياسي ، بل أنها أسهمت في إنشاء عديد من المنظمات العربية المتخصصة والإشراف عليها ورعايتها من الناحية الفنية والمالية ، مثل:

(المنظمة العربية للعلوم الإدارية – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – منظمة العمل العربية – المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس ...) .

وسنخص الثانية منهما بشيء من تفصيل ، ففي ٢١ مايو ١٩٦٤ وافق مجلس جامعة الدول العربية على مشروع ميثاق (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) وألحقت بالمنظمة بعض الأجهزة التي كانت تابعة من قبل لجامعة الدول العربية ، مثل :

(معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة [٨٤]– مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط) وكان مقر المنظمة القاهرة ، ثم نقل إلى تونس مع الجامعة نفسها كما سيأتي .

٨٣- السابق .

٨٤- السابق .

من أهداف المنظمة : (المحافظة على التراث العربي وحمايته ونشره ، وإنشاء المعاهد ذات التخصص الدقيق – تشجيع التعاون بين الأمة العربية والأمم الأخرى في نواحي النشاط الفكري – المعاونة في نشر المواد العربية المطبوعة التي ينتجها أي عضو بالمنظمة لتصبح في متناول الناس جميعا) من أجهزة المنظمة : (المؤتمر العام – المجلس التنفيذي – الإدارة العامة ...) .

وقد قامت المنظمة العربية للتربية في تونس وجهاز التعاون الدولي ومعهدا الخرطوم والقاهرة بجهود مهمة في نشر العربية وخدمتها خارج الوطن، خاصة في القارة الأفريقية ، سواء بإقامة الندوات والمؤتمرات الفنية أو تنظيم التدريب المعملي للغة العربية أو استقدام الطلاب للدراسة في العالم العربي ، فضلا عن مشروع تنميط الخط العربي لإعادة كتابة اللغات الأفريقية والآسيوية بالحروف العربية مرة أخرى ، ونشر العديد من الكتب والدوريات عن اللغة العربية عبر العالم ، وهذا يحتاج إلى تفصيل في مكان آخر .

على أية حال فإن وزراء الخارجية والاقتصاد العرب في بغداد – ٢٧ إلى ١٩٧٩/٣/٣١ – أصدروا قرارهم بتعليق عضوية مصر في الجامعة العربية وحرمانها من حقوق العضوية ، ونقل الجامعة من القاهرة– المقر الدائم – إلى تونس كمقر مؤقت وعندها علقت مجلة العالم اللندنية : " الجامعة العربية تنقل إلى تونس وتبقى في القاهرة " ولكن الأمور لم تلبث إلا قليلا حتى عادت إلى ما كانت عليه وبقيت أيضا (الإيسسكو [٨٥]) وجهاز التعاون الدولي في الحاضرة التونسية .

وتعتبر جامعة الدول العربية إحدى أعرق المنظمات الإقليمية في العصر الحديث فكل هذه المنظمات جاءت بعدها ، أو ربما تقليدا لها :

- منظمة الدول الأمريكية : تم توقيع ميثاق بوجوتا بالحاضرة الكولومبية ، ودخل حيز التنفيذ من ١٣ ديسمبر ١٩٥١ .

٨٥- نقترح أن يكون اختصار اسم المنظمة (م ع ع) بدل (الايسسكو).

- السوق الأوربية المشتركة مارس ١٩٥٧ .
- منظمة الوحدة الأفريقية مايو ١٩٦٣ .

ومع عراقة جامعتنا العربية ودورها الفاعل إضافة إلى العديد من المنظمات العربية المتخصصة كل هذا لم يمنع الدول العربية من إنشاء مجالس للتعاون أو تكتلات إقليمية داخل البيت العربي مثل :

- مجلس التعاون الخليجي : ففي ٢٥ مايو ١٩٨١ تم التوقيع على ميثاق مجلس التعاون لدول الخليج العربي من : (الإمارات – البحرين – السعودية – عمان – قطر – الكويت) مقر المجلس الرياض السعودية .

- مجلس التعاون العربي : وقعت على اتفاق إنشاء المجلس كل من : (اليمن – مصر – العراق – الأردن) ومقره عمّان .

- اتحاد المغرب العربي : تم التوقيع على معاهدة مراكش التي أنشأت الاتحاد المذكور بين (المغرب – تونس – الجزائر – المغرب – موريتانيا) .

نعود إلى جامعة الدول العربية ، والعود - إن شاء الله – أحمد ، فنقول : إن هذي الجامعة هي أولى المنظمات الإقليمية في العالم التي انبنت على أساس اللغة ، مما دفع أصحاب اللغات الأخرى إلى تأسيس منظمات مناظرة تجمع الشعوب المتحدثة بلغة ما ، وقد أشار إلى هذه الحقيقة اللغوي الفرنسي (رولاند بريتون) عندما نص على أنه :

بعد سنوات عديدة من إنشاء الجامعة العربية عام ١٩٤٥ – التي يبلغ عدد سكان أعضائها الاثنين والعشرين حوالي ٣٠٠ مليون نسمة – فتحت البلدان التي تشترك في التراث اللغوي الفرنسي فتحا جديدا بإنشاء سياسة مشتركة ، وتعزيز التعاون اللغوي والاقتصادي والسياسي فكانت المنظمة الدولية للبلدان المتكلمة بالفرنسية ، والتي مثلها مثل الكومنولث الإنجليزي تضم أكثر من خمسين بلدا ، بها أكثر من ٥٠٠ مليون من السكان .

ومنذ عام ١٩٩١ عقدت مؤتمرات للمتكلمين باللغة الهولندية من ثماني مجتمعات أو أكثر ، تمثل ما يقرب من ٤٠ مليون نسمة ، إلى جانب القمة الأسبانية الأمريكية التي تلتئم كل عامين ، وتضم أكثر من عشرين دولة (٣٥٠ مليون نسمة) وعقدت أيضاً كل عامين قمم مماثلة للمتكلمين بالتركية منذ ١٩٩٢بوفود من ست بلدان مستقلة(١٢٠ مليون نسمة) من أوربة وآسيا الوسطي ومجموعات عرقية صغيرة من أماكن أخرى ومنذ عام ١٩٩٦ جمع اتحاد البلدان المتكلمة بالبرتغالية أناسا من سبعة بلدان مختلفة (٢٠٠ مليون نسمة [٨٦].

ويضاف إلى ما سبق أن ماليزيا واندونيسيا تعقدان مؤتمرا سنويا يهدف إلى تطوير لغة الملايو ، وهي اللغة الرسمية في كلتا الدولتين ، وعندما انفصلت تيمور الشرقية عن اندونيسيا كان أول ما فكرت به هو أن تضع سياسة لغوية تحيي بها لغتها المحلية وتطورها ، وتستخدمها في التعليم ، على الرغم من قلة المتكلمين بها [٨٧]، فان اقصر الطرق للقضاء على لغة ما هو إبعادها عن مجالات التعليم والمدارس .

بعض هذي المنظمات غير العربية بحاجة إلى شيء من إيضاح ، مثل منظمة البلدان المتكلمة بالفرنسية ، أو ما يعرف بالفرانكفونية ، فنقول :

يعود هذا المصطلح إلى الجغرافي الفرنسي أو نزيم ركلو الذي استخدمه ١٨٨٨ للدلالة على الدول التي تستعمل الفرنسية ، ثم أطلق فيما بعد على المستعمرات الفرنسية الناطقة كليا وجزئيا بالفرنسية ، مما جعله يحمل معاني الهيمنة الثقافية والسياسية .

أما المنظمة نفسها فقد مرت بعدة محطات أو مراحل ، أهمها :

- ١٩٠٦ تأسيس الجمعية العالمية للكتاب باللغة الفرنسية

٨٦- بريتون : مرجع ، ص ٢٣

٨٧- ولا ننسى أن الذي قسم القارتين الأمريكتين هو انتماء لغوي ، في أقصى الشمال منهما أمريكا الانجلوسكونية والتي تتكون من الولايات المتحدة الأمريكية وكندا حيث تسود فيهما اللغتان الفرنسية والإنجليزية ، في حين نعتت باقي دول القارتين باسم (اللاتينية) حيث تسود فيهما لغتان تفرعتا عن اللغة اللاتينية الأم ، وهما (البرتغالية) في البرازيل فقط ، والأسبانية في باقي دول القارتين ، ومما يفرق هاتين الشقيقتين المتفرعتين عن اللاتينية أن الأسبانية حظيت بكمية من الكلمات العربية أكبر من الشقيقة الأخرى البرتغالية ، انظر – فايد ، د. يوسف وآخرون : جغرافيا إقليمية (الأمريكتين وأستراليا) القاهرة ١٩٨٥ ، ص٨ .

- ١٩٥٠ تأسيس الاتحاد العالمي للصحافة الناطقة بالفرنسية
- ١٩٦٢ نشرت مجلة الفكر الفرنسية عددا خاصا تمحور حول (اللغة الفرنسية لغة حية) واعتبر العدد البيان الأول للفرنكوفونية .
- ١٩٦٦ تشكلت اللجنة العليا للدفاع عن الفرنسية ، وأقرت بمرسوم جمهوري ويرأسها رئيس الوزراء الفرنسي ، وتتألف من عشرين شخصية مرموقة ، وفي نفس السنة تأسس المجلس الدولي للغة الفرنسية ، والمنظمة الدولية للبرلمانيين الناطقين بالفرنسية ، وبعدها بعام تأسست في باريس الفيدرالية الدولية للمعلمين الناطقين بالفرنسية .
- ١٩٧٠ تأسست الفرانكفونية بمفهومها الجديد ، باسم : (وكالة التعاون الثقافي والفني للتبادل الثقافي مع الحكومات) واعتبر يوم ٢٠ مارس بمثابة اليوم العالمي للفرانكفونية ، وقد اجتمع لهذا رؤساء ثلاث دول تحت رعاية فرنسية يمثلون العرب والإسلام والمسيحية ، الحبيب بورقيبة التونسي ، ليوبولد سنجور السنغالي ، حماني ديوري النيجيري ، وضمت الفرانكفونية ١٢ دولة ، زادت إلى ٥٠ تمثل القارات الخمس ، وتضم ربع دول العالم تقريبا .
- ١٩٩٢ قدر عدد المتكلمين بالفرنسية بـ ١٥٠ مليون نسمة ، وعليه فهي اللغة الثامنة من حيث عدد المتكلمين ، بعد اللغة البرتغالية التي يقدر عدد متكلميها - كما سبق – بمائتي مليون .
- ١٩٩٨ تم في بوخارست الحاضرة الرومانية إقرار مصطلح : (المنظمة الدولية للفرانكفونية) للدلالة على مجموع هيئات الفرانكفونية.

- أجهزة الفرانكفونية ومؤسساتها : (القمة الفرانكفونية – مؤتمر وزراء الخارجية – المجلس الدائم – الأمانة العامة - المكاتب الجهوية [88] - مكاتب الاتصال[89] - المراسلون) .

وتعتبر القناة الخامسة في التلفزيون الفرنسي الإطار الإعلامي الأساس للناطقين بالفرنسية ، والتي تعمل على تعزيز الحضور الفرانكفوني ، وذلك بإنشاء المسابقات اللغوية والثقافية ورعاية كل أنماط المتحدثين بالفرنسية .

وتحاول المنظمات الفرانكفونية المشاركة السياسية في المنظمات والمؤتمرات الإقليمية والدولية ، وعقد معاهدات مع الدول العربية – وغيرها – لاحترام تعدد اللغات والثقافات تأمينا للنشاط الفرانكفوني بهذه الدول وتحييدا لأية مقاومة لها [90]

وهذا هو بيت القصيد الذي يهمنا - نحن العرب – إن الفرنكوفونية ترى أن اللغة الإنجليزية تستأثر وحدها بـ٩٠% من الكتابات العلمية تاركة فقط ١٠% لباقي اللغات ومنها الفرنسية ، ولكي تزحزح الأولى لصالح الأخيرة فلابد من الاستعانة بلغات أخرى حضارية ، مثل العربية و الأسبانية [91].

إن الكثير من الأصوات الفرنسية ترى أن السيطرة العالمية للغة الإنجليزية هي شيء متعمد ، نظمته وساندته القوي الأنجلو- سكسونية جنبا إلى جنب تحركاتها السياسية **وتغلغلها** في الاقتصاد العالمي عن طريق الشركات العابرة للقارات ، وفي مقال بريتون [92] السابق الاقتباس منه جاء في العنوان : (هل يمكن إنزال الإنجليزية عن عرشها ؟) .

وفي الإجابة يقول الرجل : (إذا جمعنا عدد المتكلمين بلغات العالم الأكثر استخداما وهي اثنتا عشرة لغة ، وجدنا هذا العدد يزيد على ثلاثة مليارات ، أي نصف البشرية ، إنه

٨٨- وهي عبارة عن مكاتب فرعية ، كما في توجو و فيتنام .
٨٩- مكتب الاتصال بالأمم المتحدة في نيويورك ، وآخر في جنيف ، ومكتب الاتصال مع المجموعة الأوربية في بروكسيل .
٩٠- الأنصاري ، د. فريد : الفرنكوفونية في سطور ، ص ٢،١.
٩١- د. أبو الخير ، د. أحمد : لغتنا العربية وعناصر العالمية ، مجلة آفاق تربوية ، قطر يناير ١٩٩٩، ص ٥٢.
٩٢- مرجع سابق ، ص ٢٣، ٢٤ .

يتخطى بسهولة وبفارق كبير المليارين الذين تعتبر الإنجليزية لديهم – بشكل أو بآخر – اللغة الرسمية (الكومنولث والولايات المتحدة) ومن ثم فإن تلك اللغات الكبرى الاثنتي عشرة إذا ساندتها استراتيجية منسقة ستحقق بالتوكيد تقدما في المؤسسات الدولية .

كما تنادي أصوات أخرى في الغرب بشكل عام ، بل وفي الولايات المتحدة نفسها بدعم التنوع اللغوي والثقافي في العالم ، واستكشاف الرابط بين هذا التنوع وبين التنوع البيولوجي عن طريق البحوث والمعلومات والتوعية ورسم السياسات [٩٣]يقول بيتر مول هاوزر[٩٤] : " وأنا أرى أن الغربيين قد أسروا في داخل الحدود التي فرضتها عليهم لغاتهم وهو أحد الأسباب الرئيسة لعدم حدوث تقدم حقيقي في علوم البيئة ، إن هذه يظهر مخاطر اللغة الواحدة والثقافة الواحدة ، ويوضح أن التفسيرات العديدة المختلفة ، واللغات العديدة المختلفة ضرورية لحل المشكلات التي تواجه العالم " .

وننتقل من الفرنسية والتعدد اللغوي إلى ختام الحديث ، وهو كليمة عن الروسية التي تأخرت إلى المرتبة السادسة بعد العربية بسبب انهيار الاتحاد السوفيتي السابق ١٩٩١ م ، فنقول :

تدخل الروسية في عداد مجموعة من اللغات السلافية (الصقلبية) التي تنتمي إلى عائلة اللغات الهندية الأوربية ، تلك المجموعة التي تنقسم إلى ثلاث مجموعات فرعية:

- اللغات السلافية الشرقية : الروسية والأكرانية والروسية البيضاء (البيلو روسية).
- السلافية الغربية : البولندية – التشيكية – السلوفاكية .
- السلافية الجنوبية : البلغارية – المقدونية – الصربوكرواتية – السلوفينية.

والروسية أحدى اللغات الأكثر انتشارا في العالم ، إذ يتحدث بها ما يقرب من مائتي مليون نسمة ، فهي اللغة القومية للشعب الروسي ، كما كانت اللغة الرسمية لدول الاتحاد

٩٣- مافي ، لويزا : اللغات والمعارف المهددة بالانقراض ، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، مركز مطبوعات اليونسكو بالقاهرة ، سبتمبر ٢٠٠٢، ص ١٤٨.

٩٤- عودة إلي بابل ، رسالة اليونسكو ، القاهرة فبراير ١٩٩٤، ص ١٥.

السوفيتي السابق الخمس عشرة ، وهي وسيلة التخاطب بين شعوب جمهورية روسيا الاتحادية وبين جمهوريات رابطة دول الكومنولث المستقلة التي انفصلت عن الاتحاد .

والروسية أيضا واحدة من اللغات الست الرسمية والعاملة في الأمم المتحدة ، كما تتردد في المؤتمرات والملتقيات والندوات الدولية ، إذ تخطت حدودها الإقليمية ، وأصبحت موضع دراسة للكثيرين من الناس ، ففي كثير من البلدان العالم – ومنها البلدان العربية – تنظم حلقات ودورات لتعليم الروسية ، وهناك رابطة تزاول عملها منذ سنوات تسمى :

الرابطة الدولية لمدرسي اللغة الروسية والأدب - رابطة المابريال - مهمتها وضع أحداث المناهج التي تساعد الدارسين الأجانب على تعلم اللغة الروسية .

والفصحى الروسية المعاصرة هي لغة الأدب الرفيع والعلم والإعلام والتعليم والإدارة ومن أهم ما يميزها معياريتها ، وهذا يعني أن مفرداتها قد تم انتقاؤها من الذخيرة العامة للغة القومية وفقا لقواعد دقيقة ، وأن معاني الكلمات فيها واستخدامها ونطقها وضبط تهجئتها واشتقاق الصيغ فيها والنحو ، كل هذا يجري على منوال متفق عليه .

وجاء في صحيفة السياسي المصري :" اختتم الملتقي العربي الرابع لخريجي الجامعات والمعاهد الروسية ، والذي ضم عدداً من ممثلي الدول العربية والإفريقية ودول الكومنولث والجامعات الروسية ، بحث الملتقي أفاق التعاون العربي الروسي خصوصاً في مجال التقنية والهندسة وتوفير فرص الدراسة في الجامعات الروسية ، وسبل تحسين الاتصالات بين الاتحاد العالمي والجمعيات العربية فيما يخص المبعوثين إلي روسيا للدراسة ودعا الملتقي أيضاً إلي دعم التنسيق مع جامعة الدول العربية واليونسكو والمنظمات الدولية ، وسوف ترأس مصر الاتحاد العربي لخريجي الجامعات والمعاهد الروسية المذكور للعاميين القادمين لحين انعقاد الملتقي الخامس بالأردن عام ٢٠٠٦[٩٥]".

٩٥- عدد الأحد ٢٠٠٤/١١/٧م .

هذا يعني كثرة عدد المتخرجين العرب في بالجامعات الروسية ، وخاصة من مصر والذين ازداد عددهم سيما في عهد جمال عبد الناصر ، ولا يزال عدد كبير من العرب يدرسون ويقيمون في روسيا والجمهوريات المستقلة عن الاتحاد السوفيتي السابق وإن كان هذا العدد لا يقارن بما كان عليه في الستينات والسبعينات .

وقد يري القارئ أننا أكثرنا من الحديث عن بعض اللغات غير العربية واهتمام كل قوم بلغتهم حتى نضع أمام القارئ العربي وأمام تصوره مدي اهتمام الآخرين بلغاتهم حتى نحذو خذوهم ، ونقتفي أثارهم في هذا الاهتمام والرعاية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د : أحمد مصطفى أبو الخير

هاتف ٠١٢٧٢٠٢٢٨٦

٠٥٧٤٠٢٧١٠

الموقع :`www.geocities.com/abu_elkher

البريد :abu_elkher@yahoo.com

المراجـــــع

١. الأنصاري ، د. فريد : الفرانكفونية في سطور من الشبكة الدولية .
٢. أنيس ، د. إبراهيم : اللغة بين القومية والعالمية ، القاهرة ١٩٧٠ م .
٣. بدوي ، الدكتور السعيد محمد : طريق الحضارة ، وسيلة معاصرة إلى تأصيل العلاقات بين الصين والعالم العربي ، المجلة العربية للثقافة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس مارس ٢٠٠٠ م .
٤. برج ، البرت، ومانويل مفسود : العربية في مالطة ، ترجمة د . أحمد مصطفى أبو الخير ، وآخرين القاهرة ٢٠٠٤ .
٥. بريتون ، رولاند . ١- حرب اللغات ، هل يمكن إنزال اللغة الإنجليزية عن عرشها؟ رسالة اليونسكو ، ابريل ٢٠٠٠ .
٦. البعلبكي ، منير : المورد، قاموس انجليزي – عربي ، بيروت ١٩٩٩ م .
٧. بللو ، محمد : إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور القاهرة ١٩٨١ م .
٨. بيلياك ، رانكا : ٦٠٠٠ لغة ، تراث يستعد للقتال رسالة اليونسكو ، القاهرة أبريل ٢٠٠٠.
٩. ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم ، القاهرة ١٩٨٣ م .
١٠. جرانت ، وهارولد تمبرلي : أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩ – ١٩٥٠ م ، الجزء الثاني ، ترجمة محمد أبو درة ، ولويس اسكندر ، القاهرة ١٩٧٨ م.
١١. الجرف ، الدكتورة ريما سعد : اتجاهات الشباب نحو استخدام اللغتين العربية والإنجليزية في التعليم ، مجلة ديوان العرب ، عدد أيلول ٢٠٠٤ .
١٢. الجويلي ، د. سعيد : محاضرات في مبادئ القانون ، الدولي العام ، القاهرة ٢٠٠١ .
١٣. ابن الحاج د. محمد مصطفى : عالمية اللغة العربية ندوة (اللغة العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٩٦ م.
١٤. حجازي ، د. محمود :
– علم اللغة العربية ، الكويت ١٩٧٣ م .
– مدخل إلى علم اللغة ، القاهرة ١٩٨٦ م .
١٥. ١٥. حسن ، د. محمد خليفة وآخرون : المدخل إلى تاريخ الحبشة واللغة الحبشية القديمة القاهرة ٢٠٠١ .
١٦. حماد ، د. مجدي : جامعة الدول العربية ، عالم المعرفة بالكويت ٢٠٠٤م.
١٧. أبو الخير د.أحمد :
– العربية في بلدان غير عربية ، القاهرة ٢٠٠٠.
– المتحدثون الأجانب – غير العرب بالعربية في فضائية الجزيرة ... مؤتمر علم اللغة بدار العلوم جامعة القاهرة ٢٠٠٢م.
١٨. طرخان ، د. إبراهيم : إمبراطورية البرنو الإسلامية ، القاهرة ١٩٧٥.
١٩. راتب ، د. عائشة : التنظيم الدولي ، القاهرة ١٩٩٨.
٢٠. عبد العليم ، د. مصطفي – د. يحي فرغل : الآثار الإيجابية لوسائل الإعلام في اللغة العربية ، مؤتمر دار العلوم جامعة القاهرة ٢٠٠٢م.

٢١. أبو العطا ، د. رياض – د. وائل علام القانون الدولي العام ، القاهرة ٢٠٠٠.
٢٢. العناني ، د. إبراهيم : القانون الدولي العام ، القاهرة ١٩٩٠.
٢٣. العيسوي ، د. فايز : أسس الجغرافيا البشرية ، الإسكندرية ٢٠٠٢.
٢٤. فايد ، د. يوسف عبد الحميد وآخرون : جغرافيا إقليمية (الأمريكتين واستراليا) وزارة التربية والتعليم بالاشتراك مع الجامعات المصرية ، القاهرة ١٩٨٥م.
٢٥. فوستر ، دين آلن : المساومة عبر الحدود كيف تتفاوض بنجاح في مجال الأعمال بأي مكان في العالم ؟ ترجمة نيفين غراب ، القاهرة ١٩٩٧م.
٢٦. فيشر ، هربرت : أصول التاريخ الأوربي الحديث ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٦١م.
٢٧. كابلان ، روبرت : الحملة الإمريكية ، مستعربون وسفراء ورحالة ، ترجمة محمد الخولي ، القاهرة ١٩٩٦م.
٢٨. كالفيه ، جان لوي : المستخدمون هم أصحاب الاختيار ، رسالة اليونسكو ، القاهرة أبريل ٢٠٠٠م.
٢٩. مافي ، لويزا : اللغات والمعارف المهددة بالانقراض ، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، مطبوعات اليونسكو بالقاهرة سبتمبر ٢٠٠٢م.
٣٠. مجمع اللغة العربية بالقاهرة : المعجم الكبير ، القاهرة ٢٠٠٠.
٣١. مصطفي ، د. مني : المنظمات الدولية الحكومية العالمية والنظام الدولي الجديد القاهرة ١٩٩٤م.
٣٢. مولمان ، يوهان : اللغة العربية في اندونيسيا ، ترجمة الدكتور أحمد مصطفي أبو الخير – الدكتور أحمد فريد عبد الشافي ، القاهرة ٢٠٠٢م.
٣٣. مولهاوزر ، بيتر : عودة إلي بابل ، رسالة اليونسكو ، القاهرة فبراير ١٩٩٤م.
٣٤. ابن هشام : السيرة النبوية ، القاهرة ١٩٥٥م.
٣٥. هنتنجتون : صدام الحضارات ، ترجمة طلعت الشايب ، ط٢ ، القاهرة ١٩٩٩م.
٣٦. وافي ، د. على : فقه اللغة ، الطبعة السادسة ، القاهرة ١٩٦٨م.
٣٧. وانج فو ، فريدة : الإعلام الخارجي الصيني باللغة العربية ، المجلة العربية للثقافة... تونس ٢٠٠٠م.

المواقع الإلكترونية

رجعنا إلي بعض المواقع على الشبكة ، منها :-

1- www.albayan-magazine.com.

2- www.aljazera.net.

3- www.geocities.com/abu_elkher

4- www.ircica.org.

5- www.isesco.org.ma.

6- www.muslimworldleague.org.